



المعيزات الدخيلية

ALTINOLUK

مجلة تصدر كل شهرين - العدد الثامن عشر (كانون الثاني - شباط ٢٠١٧)



*Beklenen
Osmanlı
Tavru
ve
Târzu*



الموقف
والمنهج
العثماني
المنتظر

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة القراء:

التاريخ يشهد على أن الأمم والأفراد ينظّمون حياتهم في ضوء التجارب التي عاشوها، والتاريخ هو ذاكرة الأمة، ونتاج التجارب القومية. ولهذا فإنه كما أن الفرد لا يستطيع العيش بدون تلك التجارب التي عايشها، فإن الأمم أيضاً دائماً تحتاج إلى إيقاظ وإرشاد الأحداث التاريخية السابقة. إن الصعود والهبوط في أقدار الأمم، إنما يعني مجموعة متراكمة من التجارب، التي ستنقل إلى مستقبلها. ومقارنة أسباب ونتائج تلك التجارب القديمة بشكل سليم مع الأحداث الجديدة، تضيء المستقبل للأمم.

إذا تعرفت الأمم على تاريخها الحقيقي وعلى مرشدها المادي والمعنوي وقدّرهما حق تقدير، فإنها تكون بذلك الأمة المتحضرة العظيمة. وإذا الأجيال الجديدة تعرفوا على تاريخهم بشكل أفضل من تواريخ الآخرين، واعتبروا بالماضي فلا داعي للقلق حينئذ من المستقبل.

وإذا تربى ونشأ جيل يعرض عن تاريخه، لا يتعرف على مرشده المادي والمعنوي، وتعرّب من داخله، وأصبح وارثاً منكراً لجميل هذا الميراث العظيم، ويخون أبطال ماضيه، ويجعل الخونة أبطالاً، فإن هذا - بلا شك - سيجعل المستقبل مظلماً كثيراً. لأن مستقبل من لا يستندون إلى الماضي، لا يكون آمناً أبداً، ولهذا يجب أن تمتد جذورنا إلى الماضي، وفروعنا إلى المستقبل.

ومن الخطأ الكبير فهم علم التاريخ على أنه مجموعة مجردة من الوقائع الجافة، بل على النقيض من هذا، فعلم التاريخ علم مبارك يوضح الأرضية الأصلية للصواب والخطأ والحق والباطل في حياة المجتمعات الممتلئة بالمفاجآت والمغامرات.

علينا أن نتعرف على تلك الأرضية بشكل سليم وأن نستخرج منها العبر والدروس اللازمة حتى نستطيع تنظيم حال المجتمعات أكمل التنظيم ونقارن بين الأسباب والنتائج التي يضعها التاريخ أمامنا.

ولهذا فإن كتابنا العظيم القرآن الكريم نقل للإنسانية العبر والحكم من الأحداث المختلفة الإيجابية أو الأحداث السلبية التي عاشتها المجتمعات الماضية.

المحتويات

١٨



عندما ينقضي عام
علي بويو كجبار

٣



الموقف والمنهج العثماني
علي رضا تمال

٤٢



الحباب بن المنذر الأنصاري
مصطفى أريتن

٢٨



جعفر الصادق - أ
الأستاذ: عثمان نوري طوباش

مجلة تصدر كل شهرين
العدد الثامن عشر
(كانون الثاني - شباط ٢٠١٧)

رئيس التحرير
بيت الله ديمرجي اغلوا

مدير التحرير
حسام يوسف

هيئة التحرير
بيت الله ديمرجي اغلوا
حسام يوسف
آدم أزدмир
د. مراد قابا

التصحيح والتدقيق اللغوي
أ. حسن مرشد
أ. محمد عز الدين سيف

التصميم والتنضيد والاخراج الفني
حسام يوسف

إدارة المجلة.
Organize Sanayi

Bölgesi Turgut Özal Cad. No: 117/2-C
Başakşehir / İstanbul Tel:0090 212 671 07 00

دار النشر والطباعة

Erkam Matbaasi Organize Sanayi.
Bölgesi Turgut Özal Cad. No: 117/2-C
Başakşehir / İstanbul Tel:0090 212 671 07 00

الإشتراك

لكي تصلكم المجلة بشكل دوري
يمكنكم الإشتراك سنوياً بمبلغ ٣٠ دولار
كما يمكنكم المساهمة بإرسال المقالات
والملاحظات على عناوين المجلة
للمراسلة

almizab2011@hotmail.com
almizab2011@gmail.com

٢٨	جعفر الصادق - أ	١	افتتاحية العدد
٣٤	الشكر لماذا وكيف؟	٣	الموقف والمنهج العثماني المنتظر
٣٦	التوبة	٧	أين نحن وما الذي ينبغي فعله
٤٠	أهمية دراسة التاريخ	١٠	فن التسامح
٤٢	الحباب بن المنذر الأنصاري	١٣	أمانة تضيق
٤٥	ماذا يقول التصوف لنا	١٥	المسلم وواجبه تجاه غير المسلمين
٤٦	مقام الإحسان	١٨	عندما ينقضي عام
٤٨	الأمر بالمعروف في القرآن الكريم	٢٠	العقل السليم والعدالة
٥٠	الطير في ثقافة التصوف	٢١	الكبير
٥٤	ليس كل من أعطى النقود ولي	٢٢	شخصيتين بجملة
		٢٤	قوا ذريعتكم من النار

الموقف والمنهج العثماني المنتظر

الأستاذ: علي رضا تمال

كان سعيد حليم باشا (١٨٤٦ - ١٩٢١م) في عهد الدولة العثمانية رئيساً لمقاطعة (رومي)، وتولى منصب وزير الخارجية والصدر الأعظم، واستشهد في روما عام ١٩٢١م على يد أرمني. لقد كان من خيرة رجالات الدولة والفكر، وهو صاحب مؤلفات مثل: (عهد المشروطية)، (مشكلاتنا)، (التعصب)، (النظم الإسلامية في الإسلام). وقد اهتم عن كثب بمشاكل المسلمين، وقام بتشخيصها وطرح مقترحات وحلول هامة لمعالجتها.

خطَّ سعيد حليم باشا رسالة إلى رجالات الدولة الذين أنشأوا "عصبة الأمم المتحدة" التي كانت قبل منظمة الأمم المتحدة الحالية، وتحدث في رسالته عن أهمية الدولة العثمانية بقوله:

"الدولة العثمانية دولة عالمية لا يمكن أن يحل محلها سوى دولة واحدة فقط هي: الدولة العثمانية. إن حدود الإمبراطورية العثمانية بلغ ضعف حجم أوروبا، واحترمت مختلف الأعراق والديانات واللغات والعادات وأنماط الحياة وطبائع المجموعات البشرية المختلفة التي حكمتها. ولقد قدمت لملايين البشر، الذين يختلفون إلى حد إفناء بعضهم بعضاً في حال غياب قوة ناظمة ترأسهم، أكثر مما تعدُّ به عصبة

وغياب لسلطة كسلطة الأب أو الأخ العادل والقوي ليحرسها ويلعب دور الوسيط والقادر على فرض كلمته وقوته.

إن العالم الإسلامي الذي انفرط عقده بحاجة إلى حبل يجمعه تحت إمامة واحدة، وهذا الحبل القادر على جمعه إنما هو - كما جاء في التعبير القرآني - "حبل الله". كان العالم الإسلامي على مدى التاريخ واحداً ومتحداً باعتمادهم بهذا الحبل، يعيش حياة آمنة ومشرفة، وكان مصدر أمن وسلام للآخرين.

لقد مثلت الدولة العثمانية عبر التاريخ هذه القوة العادلة، وساعدت بين الحين والآخر غير المسلمين أيضاً، ولم تستخدم قوتها للظلم والاستعمار. فعلى الدول التي تلعب دور الحكم أن تكون عادلة وقوية، ولا يكفيها العدل دون القوة، أو القوة دون العدل. يقول العالم باسكال: "إن القوة بلا عدالة ظالمة، والعدالة بلا قوة عاجزة".

إن الذين يحكمون العالم اليوم أقوياء لكنهم غير عادلين، وهم كما يقول محمد إقبال يتحدثون عن العدالة من جهة، ويشربون الدماء من جهة أخرى. وما الذي يمكن توقعه غير ذلك من سارقي الأكفان؟ وعصبة الأمم المتحدة أنشأت في الأصل لتقوم بالتقسيم على أساس: "هذه النعجة لي وتلك لك" ولتلبس الظلم لباس العدل.

إن العالم في جهة والدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في جهة ثانية، ويتوقف كل شيء باستخدام دولة واحدة حق الفيتو، أين العدالة في ذلك؟

الأمم المتحدة. إن الإمبراطورية العثمانية قدمت في عهد قوتها ورخائها للعالم دروساً في الفضيلة والرحمة والمصالحة والأخوة والأصالة، سيفتقد العالم كثيراً هذه الإمبراطورية العثمانية العالمية، ولن تستطيع الدول المصطنعة العاجزة التي أسست في مناطق اقتطعت من الدولة العثمانية أن تقدم خدمات مشرفة ومفيدة للشعوب التي تركت تحت إدارتها، وخلاف السلطة والانفصال لن ينتهي أبداً على هذه الأرض". [سعيد حليم باشا، مشاكلاتنا، ص: ٣٤ - ٣٥، إسطنبول ٢٠٠٣].

لقد أشار سعيد حليم باشا الذي كان يتمتع ببصيرة نافذة إلى أن الأمم المتحدة لم تتحرك بما يناسب الأهداف التي وعدت بها لدى تأسيسها، وأظهرت عجزاً أمام كثير من المشاكل الخطيرة، ولم تكن في الغالب أكثر من دمية بيد الدول القوية، أما الدولة العثمانية فقد كانت ضماناً للأمن والعدالة للمجتمعات المختلفة والديانات والأقوام المتعددة التي كانت تحت حكمها، كما كانت كذلك أيضاً لدول العالم.

إن الوضع المؤسف للدويلات المصطنعة التي اقتطعت من الإدارة العثمانية واضح للعيان، وعدد هذه الدويلات يقارب الستين ويديرها مستبدون ظلمة تحركهم الإمبريالية، كما أن بعضها تحارب بعضاً، وقد باتت ساحة لنزاعات السلطة والسلطنة، وتهدم نفسها باستمرار، وتشكل خطراً على سلام العالم. إننا نرى الأوضاع المؤلمة في سوريا ومصر والعراق وليبيا وتونس، ونشعر بوجود فراغ



لا بد من إعادة بناء العالم في عموم أرجائه من أجل تأسيس السلم والاستقرار. والعالم الإسلامي بأمر الحاجة إلى بنية جديدة ملائمة للمفهوم والتطبيق العثماني. يقول السلطان العثماني محمود الثاني: "ألاحظ أن المسلمين من رعاياي وهم في المسجد، والنصارى وهم في الكنيسة، واليهود وهم في الكنيس، ليس بينهم أي فرق"، فيلخص بهذه العبارة موقف الدولة العثمانية من رعاياها.

إن كل إنسان له حرية الاعتقاد والعبادة والفكر والتصرف ما لم يلحق الضرر بالعامّة.

ولا يمكن التفريق في المعاملة بين الناس على أساس العرق أو اللغة أو اللون أو الدين أو المذهب أو المنطقة. لقد كان الفكر الأساسي للدولة العثمانية أن "تمازج الشعوب اتحاد للعناصر المختلفة"، ولعل أبرز الأمثلة على هذا التلاحم وهذه الوحدة وأكثرها جذباً للأنظار يتجسد في مأوى "دار العجزة" الذي أسسه السلطان عبد الحميد الثاني في منطقة (أوك ميداني) بإسطنبول عام ١٨٩٠؛ ففي هذا المكان جامع وكنيسة وكنيس يهودي، وفيه إمام ومؤذن وثلاثة قسيسين لثلاثة مذاهب: الكاثوليك والأرثوذكس والغريغوريان، إضافة إلى حاخام يهودي، ومدرّسين يتولى أحدهما تعليم المسلمين والآخر تعليم غير المسلمين.

لقد تركت الدولة العثمانية للأقليات القاطنة في كنفها حرية اللغة والدين والعادات والتقاليد ولم تحاول إزابتهم في بوتقتها. وإن موقفها ونهجها السياسي هذا هو أنموذج يحتذى للذين يمسون بأيديهم زمام القوة اليوم.

ولا يخفى على أحد ظلم الإسبان للمسلمين واليهود في الأندلس وما أذاقوه لهم من صنوف العذاب. فكما أنهم منعوا جميع المعتقدات والعبادات والآراء المختلفة،

أرغموا المسلمين على أكل لحم الخنزير وشرب الخمر ليقوموا بما يخالف أوامر دينهم ونواهيهم. ولا يخفى على عاقل الظلم الذي تعرّض له الهنود الحمر في أمريكا والسكان الأصليين في أستراليا.

إن الدولة العثمانية لم تنهب الثروات الباطنية أو السطحية أو الإرث التاريخي والثقافي للدول التي فتحتها، بل قدمت خدمات لتلك الدول وخلفت آثاراً لا يزال يُستفاد منها إلى الآن. أما بريطانيا وفرنسا والبرتغال وإسبانيا وإيطاليا فقد نهبت ثروات الدول التي استعمرتها، وملأت متاحفها بما سرقت منها. ووضع الدول الإفريقية التي لا يزالون ينهبون ثرواتها يبعث على الأسى.

ويحمل قول جومو كينيّاتا (١٨٨٩-١٩٧٨) أول رئيس وزراء كيني في هذا الشأن كثيراً من المعاني بين طياته:

"عندما جاء النصارى إلى إفريقيا كان لدى الأفارقة الأرض ولدى النصارى الإنجيل. وقد علمنا النصارى أنه علينا إغماض أعيننا للدعاء والعبادة، لكن عندما فتحنا أعيننا وجدنا أنهم أخذوا أرضنا، ونحن أخذنا إنجيلهم".

إن الأفارقة اليوم ينظرون إلى البيض على أنهم شياطين. لكن لا تزال بعض المساجد في الدول

شعوبها حتى الآن، لما استمرت ممارسة هذه العادة بافتخار حتى يومنا هذا.

إن الظروف في عالمنا الراهن والشروط التي تعيشها- لا سيما الدول الإسلامية- تدفع بتركيا إلى تولي المسؤولية، ولعب الدور العثماني مجدداً، لأن حل المشاكل الراهنة والمشاكل المتزايدة الموروثة من الأمس لا يمكن إلا بذلك. وكما قال محمد إقبال فإنه من غير الممكن توقع العدالة والإنصاف من سرقة الأكفان. إن الغرب لا يهتم إلا بالأماكن التي تفوح منها رائحة النفط والثروة وهو لا يذهب إلى تلك المناطق لخدمتها بل لسحقها.

ثمة حاجة إلى حَكَم قوي وعادل لوقف النزاعات والحروب التي تشهدها الدول الإسلامية، ولا نجد أحداً قادراً على تولي هذا الدور سوى تركيا. وتتلخص القضية برمتها في إدراكنا لذاتنا ولمسؤوليتنا وفي أن نتمتع بإرادة الوجود، وما حصل مرة بالتاريخ يمكن تكراره مرة أخرى مع تشكل الظروف الملائمة، فالماضي أنموذج المستقبل.

وفي نهاية مقالتنا نستذكر ما قاله محمد إقبال: "إن شرف الشرق والغرب بيدك. والتنافس المعنوي والحماسة قد ظهرت من آسيا. نحن من أظهرنا ما خفي وراء الستار، فالشمس منا ونحن من الشمس. ضع العصر الذي تعيشه أمام عينيك وأحيي مجدداً روح عُمر. إن إحياء العالم الإسلامي واستعادة عافيته وسلام العالم كلها مرهونة بإحياء هذه الروح وبإحلال المنهج العثماني".



الإفريقية تدعو حتى الآن في خطب الجمعة للسلطين العثمانيين. وترفرف راية عثمانية في "إسطنبوليها" بمنطقة أغاديس في النيجر، ويحكم المنطقة السلطان إبراهيم أومارو المنحدر من سلالة السلطان بيازيد يلدرم بصفته "السلطان العثماني" هناك، والقضاة هم من ينظرون في الدعاوي. أما تفاصيل القصة فإنه في نهاية القرن الرابع عشر نشب خلاف بين قبائل الطوارق في النيجر على الزعامة، ما دفع وفداً من ٣٠٠ شخص إلى التوجه من النيجر إلى الدولة العثمانية لحل هذا الخلاف بين القبائل، فعين السلطان بيازيد يلدرم ابناً له من جارية زنجية يدعى يونس سلطاناً على منطقة أغاديس الواقعة جنوب فزان، واستوطنت مجموعة قادمة من إسطنبول منطقة في أغاديس أطلقوا عليها اسم "إسطنبوليها" (وتعني الكلمة: القادمين من إسطنبول). ومنذ ذلك الحين باتت السلطنة تُتوارث أباً عن جد وفقاً للعادات العثمانية. لو أن العثمانيين استعمروا تلك المناطق وكانوا لا يزالون يظلمون



لقد تركت الدولة العثمانية للأقليات القاطنة في كنفها حرية اللغة والدين والعادات والتقاليد ولم تحاول إزابتهم في بوتقتها. وإن موقفها ونهجها السياسي هذا هو أنموذج يحتذى للذين يمسكون بأيديهم زمام القوة اليوم.



أين نحن؟ وما الذي ينبغي لنا فعله؟

الدكتور: فؤاد آكبنار

الرحمة والإيثار، وهي السُّلَم الذي يرتقي به الإنسان إلى قمم الروحانيات.

والخدمة إحدى وظائف العبودية الاجتماعية التي أمر ربنا سبحانه وتعالى عباده بها، فينبغي لأهل الخدمة أن يقتبسوا المشاعر من الصفات الجمالية لله عز وجل متفكرين ومتأملين باسمه "الرحمن" و"الرحيم" كما يليق بجلال ربوبيته.

لأن المؤمن يرى نفسه مسؤولاً عن مجرى العمر والدهر، ولا يرى أنه قد قام بواجب العبودية بالاعتصار على إقامة الصلاة، وصوم رمضان، وأداء فريضة الحج....

بل يسعى دائماً بمشاعر الشفقة والرحمة التي تتقد بين جناته كي يزرع محبة الله سبحانه وتعالى في قلوب العباد، ويحبب العباد إلى الله سبحانه وتعالى وذلك بالجهود التي يبذلها لتعريف الناس بنعمة الإيمان.

إن الغاية الأساسية لحياتنا العبودية لله سبحانه وتعالى خالق الحياة والموت، والذي أكرمنا بالنعم دون مقابل، وإذا كان المقصود من العبودية الاستجابة لدعوة الحق سبحانه وتعالى، فإن المستجيبين لهذه الدعوة الإلهية بلا تردد أو ريب، وأهل الله الحقيقيين، والذين يتبعون الأنبياء والصالحين والصادقين، يضعون الخدمة على رأس وظائف العبودية المفروضة، وذلك بتعظيم الله سبحانه وتعالى وعبادته، وبالشفقة والرحمة والرأفة بالمخلوقات.

وأعظم ثمرة العبودية الرحمة التي نتيجتها الخدمة.

والخدمة هي البحث عن رضا الله سبحانه وتعالى بالتوجه إلى المخلوقات بقلب ملؤه

فنفهم من ذلك كله أن:

• خدمة الله سبحانه وتعالى:

هي تنفيذ أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه بمحبة، وبذل الجهد في سبيل إعلاء كلمة الله.

• وأما خدمة رسول الله عليه الصلاة والسلام: فهي محبته بصدق وإخلاص، وبذل الجهد في اتباع سنته المطهرة وإحيائها بين الناس.

• وأما خدمة أهل الله:

فهي إظهار المحبة، والوفاء، والولاء لهم.

• وأما خدمة الوالدين:

فهي إرضائهما وطاعتهما بلا أدنى كلمة توحى بالتأفف والضجر.

• وأما خدمة الأبناء:

فهي العمل على تربيتهم وتنشئتهم على سبيل التقوى ليكونوا عباداً مؤمنين صالحين.

• وأما خدمة ذوي القربى:

فهي الحرص على صلة الرحم، وتلبية احتياجاتهم، والإحسان إليهم.

• وأما خدمة المؤمنين:

فهي مشاركتهم في آلامهم، وأفراحهم، وأتراحهم.

• وأما خدمة الناس:

فهي العمل على تحقيق النفع والفائدة لهم باليد، واللسان، والقلب.

• وأما خدمة المخلوقات الأخرى: فهي الشفقة والرفقة بهم.

فأين نحن من كل ذلك؟

هل نستطيع القول بأنه كلما كانت خدماتي كثيرة،

فإن رحمتي وشفقتي تكون بذلك القدر، وإيماني أيضاً يكون قوياً بمقدار ذلك؟

وماذا يعني بذل الجهد والسعي لبلوغ رضا الله سبحانه وتعالى من خلال التعامل مع المخلوقات بقلب مليء بالرفقة والإشفاق؟

هل نستفيد من اسمي الله تعالى "الرحمن" و"الرحيم"؟ وما مدى هذه الفائدة؟

وما مدى وعينا بأن الذي طلب منا خدمة المخلوقات هو ربنا سبحانه وتعالى؟

وهل نعلم بأن وظيفة العبودية الملقاة على كاهلنا تعني الخدمة؟

وما مدى تقبُّلنا لواجبات عبوديتنا، وهل نقوم بها بمحبة وطيب خاطر؟

وما مدى قربنا من النبي عليه الصلاة والسلام، ومدى معرفتنا بسنته المطهرة وارتباطنا بها، وما مدى تطابق أقوالنا وأفعالنا مع سنته، وأين موقع النبي عليه الصلاة والسلام وسنته في قلوبنا؟

وإذا كنا نرغب بصحبة العباد الأخيار من الصالحين والصادقين في العقبى، فهل نبذل جهوداً لتحقيق هذه الصحبة ونحن في الدنيا؟

هل نفكر بكيفية التخلص من الأفعال والأقوال التي تؤذي والدينا وتكسر قلبهما؟

وهل ندرك مدى الحقوق المترتبة علينا سواء حقوق العباد أو المخلوقات جميعاً، وهل نبذل جهوداً تمكِّنا من نيل شهادة تبين أننا أدبنا حقوقهم؟ هل نمتلك تلك الروح الكاملة التي تبحث حولها عن كائنات أخرى لتنقذها من أجل بلوغ النجاة في الآخرة؟

هل نحن من المؤمنين الذين يتطلعون ليكونوا سنداً للمحرومين والمقطوعين، والذين يلقون السمع لأهاتهم وصرخاتهم الصامتة؟

هل قلوبنا بحر واسع من الرحمة يحتوي سائر المخلوقات بداخله؟



وإذا كانت مسؤولياتنا تمتد إلى حيث تمتد قلوبنا،
فإلى أين تصل منزلتنا؟

إلى أي مدى تعكس أفعالنا- التي هي مؤشر
لمسؤوليتنا- الاشتياق إلى ربنا سبحانه وتعالى
والبحث عن رضاه؟

هل يمكن أن نجيب على التساؤل الآتي بـ "كلا":
هل حرصنا وتمسكنا بالدنيا مُقدِّم على حرصنا على
رضا ربنا سبحانه وتعالى ومحبة الناس؟

هل نستطيع أن نسارع إلى تلبية استغاثات
المخلوقات دون أن نمُنَّ عليها ونجرح مشاعرها؟

هل نستطيع أن نحسنَ إلى الناس حتى وإن كانوا
من العصاة والمذنبين، وأن نتعامل معهم بالرحمة،
ونخاطبهم باللين والرفق من أجل إظهار الوجه
المشرق للإسلام؟

هل نلتزم في أفعالنا بالمبدأ القائل: "الأدب أولى
من الخدمة"؟

هل نعلم بأن مفتاح توفيق أهل القلوب الذين
سندهم المولى سبحانه وتعالى إنما هو الصبر
والثبات؟

هل ندرك بأن الخدمة في سبيل رضا الله سبحانه
وتعالى ليست محبة مؤقتة تأتي ثم تزول، وإنما هي

دَيْنُ العبودية الذي ينبغي أن يتسم بالديمومة طوال
العمر، وبأنها عمل من أعمال النبي عليه الصلاة
والسلام؟

هل نجد على ألسنتنا أثراً للدعاء النبوي القائل:
"اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، ومن
الجبن والضعف" كي نستطيع الالتحاق بقافلة خدمة
المخلوقات التي سوف تتلقى الأجر والمكافأة من
الله عز وجل؟

إن خدمة المخلوقات وسيلة لنشر السلام
والطمأنينة في قلوب العارفين ولا ترهقهم أبداً، فيا
ترى كيف يكون الأمر بالنسبة لنا؟

إن الخدمات الخيرة لطف وإحسان لفاعلها، بل
ينبغي المحافظة عليها وتقديرها حق قدرها. وإذا
كان الأمر كذلك، فما مدى الشكر الذي ينبغي لنا
تقديمه لربنا الذي وقَّنا للقيام بها؟

هل نعلم بأن ذوي الهمة هم أصحاب الخدمة
الحقيقية الصادقة الذين تكون قلوبهم محلاً لنظر
الله تعالى؟

فهل نحن من الذين بلغوا هذا الإحسان والنعمة؟

يا أبنائي، عيشوا حياتكم بحالة من الرضا والقناعة التامة، وأنفقوا ما أكرمكم
الله به من النعم من أجل الله، ولا تجعلوا حالة القناعة مخصصة بثلاثة أشهر
أو مخصصة بشهر رمضان! وإنما اجعلوها في كل صفحة من حياتكم، وأنفقوا
ما يزيد عن حاجتكم في سبيل الله! واعلموا هذا جيداً، فإنكم حتى لو عشتُم في قصر
"توب كابي" فمع ذلك أنتم مجبورون على العيش بقناعة، ومن أجل ذلك
أخرجوا أموالكم، وأملاككم من قلوبكم، وإذا لم تنفقوا الزائد عن
حاجتكم في سبيل الله فإنكم سوف تصبحون من الجاحدين لنعم الله عليكم،
ولا تنسوا أن عدم الإنفاق إضرار بالنعم، وإن حساب الإضرار بالنعم
عسير، ووبال يوم القيامة.. (موسى طوباش)



فن التسامح

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

-لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجَرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا،
وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ-

رواه البخاري ومسلم



وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول عليه
الصلاة والسلام قال:
«تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ،
فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحَاءٌ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى
يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ
حَتَّى يَصْطَلِحَا» (رواه مسلم)

فإنَّ المسلم لا يبغض أخاه ولا يحسده ولا
يقاطعه بل هو أخ لكل مسلم. إذا تألم يتألم لألمه،

إنَّ الإسلام تميّز بخصائص كثيرة منها:
الحرص على تنمية العلاقة الإيمانية بين المسلمين
قال تعالى:
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠)
والهجر والقطيعة كبيرة من كبائر الذنوب فأحببت
أن أذكر نفسي وجميع المسلمين أن النبي ﷺ قال:
«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام يلقاه
هذا فيعرض عنه وأيهما بدأ بالسلام سبق إلى الجنة».



وإذا فرح يفرح بفرحه، يغض الطرف عن الزلات والهفوات، فورد في الحديث الشريف:

«مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكَ دَمِهِ» (سنن أبو داود)

وسلامة القلب والصدر وحب الخير للناس أمره

عظيم قال تعالى:

﴿وَلْيَغْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: ٢٢)

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(المائدة: ١٣)

هذه دعوة لوجه الله العفو الغفور، إلى كل المتخاصمين لكي يصطلحوا، ويتزعموا ما في قلوبهم من شحناء وبغضاء وغل، وأن يزرعوا بدلاً منها المودة والمحبة والرحمة والتسامح والعفو.

أخي الكريم بادر بالصلح واعلم أن:

١ - خير المتخاصمين هو الذي يبدأ بالسلام، كما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام:

«..وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» (متفق عليه)

٢ - يفتح الله سبحانه وتعالى للمتصالحين سبعون باباً من الرحمة.

٣ - الذي يبادر بالصلح يفتح له ٩٦ باباً من الرحمة، فإن قبل أخاك المبادرة فله رحمة واحدة، وإن لم يقبل بها فستحصل أنت على هذه الرحمة وتكتمل لك ٧٠ رحمة.

٤ - تذكر أن من مكارم الأخلاق: أن تغفو عن من ظلمك، وأن تعطي من حرمك، وأن تصل من قطعك.

٥ - تحصل على عفو الله سبحانه وتعالى:

﴿...وَلْيَغْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ

لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (النور: ٢٢)

٦ - لا تحرم نفسك وأخاك من مغفرة الله، عندما يغفر لجميع عباده في ليلة القدر، إلا للمتخاصمين، حيث يقول ملائكته، أنظرا هذين حتى يصطلحا.

٧ - لا تكن ناكراً للجميل، وتنسى محاسن أخيك، واعلم أن كل البشر معرضون للخطأ.

٨ - ألا تحب أن تكون آمناً من سخط الله تعالى يوم القيامة، إذا، لا تغضب على أحد من خلق الله تكن آمناً من سخط الله تعالى يوم القيامة.

٩ - هل تعلم أن أعظم حسنة عند الله تعالى هي حسن الخلق والتواضع والصبر على البلاء.

١٠ - المبادر دائماً هو الأقوى لأن المبادر متسامح، والتسامح سمة الأقوياء الواثقين. واعلم أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد عفا عن المشركين الذين آذوه وطرده من مكة يوم الفتح.

وأخيراً أخي الكريم: إن لم تكن على خصومة مع أحد، فأنت على خير كبير، فلا يفوتك أن تصلح بين المتخاصمين، وقد جاء في الحديث الشريف: «أفضل الصدقة: إصلاح ذات البين»... وهذه الصفة مدحها الله تعالى حتى في غير المسلمين. حيث قال:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ...﴾ (النساء: ١١٥)

وهل تعلم أن الكذب لا يجوز أبداً، إلا في المصالحة بين المتخاصمين، وذلك إن لم تجد طريقاً آخر. البشاشة حبال المودة، وتبسمك في وجه أخيك صدقة.

أخي الكريم: لاتفوت الفرصة على نفسك، وتسمع لكلام النفس والشيطان.

وأجلُّ عمل وأعظمُ فعل هو التسامح اذا كنا نريد العيش بمحبه وسعاده..

إخواني أخواتي أحبابنا في هذه الحياة كثيرون..

فلما التكبر على أنفسنا وغيرنا

فالنبادر بالتسامح

فالنكن سباقين لهذه

الصفة العظيمة.

أمان تضييع

د. مراد كايا

أي أن كل خصلة من هذه الخصال الحميدة والحسنة لدى الإنسان مثل الخيوط التي تشكل حبلاً، حيث يتم سحبها واحداً بعد الآخر لتبقى الصلاة آخرها. فينظر الناس إلى المصلي ويبدو لهم في الظاهر أنه يقيم صلاته، إلا أن داخله فارغ، وذلك لأن خصاله الجميلة الأخرى قد سحبت واضمحلت.

إن السيدة عائشة أم المؤمنين، وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اله عنهما يشيران إلى هذا الأمر بقولهما: "من شاء فليصم وليصلي، إلا أنه لا دين لمن لا

أمانة له" (البيهقي: الشعب، ٧، ٢١٧-٢١٨/٤٨٩٦)

ويحذرننا النبي ﷺ في حديث آخر، فيقول:

"أول ما يرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة،

فسلوها الله" (البيهقي: الشعب، ٧، ٢١٦/٤٨٩٣)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما خطبنا

رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا قال:

"لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له"

(أحمد: مسند، ٣، ١٥٤، ١٣٥)

إن أمانة من الأمانات التي أودعها الله تبارك وتعالى لدينا نحن عباده تضييع من بين أيدينا، وإذا لم نتدارك الأمر ونحافظ عليها فإن ضرراً عظيماً سوف يلحق بنا جميعاً! وهي مثلها كمثّل بقية الخصال الحسنة الأخرى التي أكرمنا بها وأمرنا بالمحافظة عليها ألا وهي "الأمانة"، أي الثقة.

إن مشاعر الثقة بين الناس اليوم تتلاشى وتضمحل. وقد بدأ كل واحد يتصف بحالة من التوجس والريبة...

وصرنا ننزلق إلى وضع خطير إلى درجة أن الناس

على وشك قول العبارة المفزعة وهي:

"كان في المكان الفلاني رجل أمين، وأهل للثقة..."

وقد حذرننا رسول الله عليه الصلاة والسلام من

هذا الأمر الخطير بقوله:

"أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى

الصلاة، ورب مصّل لا خير فيه." (البيهقي: الشعب، ٧،

٢١٥/٤٨٩٢؛ الهيثمي: ٧، ٣٢١)

حتى أن المؤمن ينبغي أن يكون صادقاً وأميناً في مزاحه وهزله، لأن رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول:

"لا يؤمن العبد بالإيمان كله حتى يترك الكذب من المزاحه، ويترك المرء وإن كان صادقاً". (أحمد: مسند، ٢، ٣٥٢، ٣٦٤؛ الهيثمي: ١، ٩٢)

إن رسول الله عليه الصلاة والسلام يريد من أمته كما يخبرنا هو بقوله:

"اضمنوا لي ستاً من أنفسكم، أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم". (أحمد: مسند، ٥، ٣٢٣)

لما فتحت مكة المكرمة صلحاً، هذا الفتح الذي كان أثراً من آثار دهاء عسكري منقطع النظير، تم إعلان عفو عام عن الناس الذين كانوا إلى ذلك الوقت يكونون أشد العداوة للإسلام والمسلمين، ولم يؤخذ أي شيء من أموال أهل مكة غنيمة للفتاحين. (انظر: أبو داود، الخراج، ٢٤ - ٢٥ / ٣٠٢٣)

ولكي يلبي رسول الله عليه الصلاة والسلام الاحتياجات الضرورية لجيش المسلمين المؤلف من أحد عشر ألف جندياً والذين مضى على رحلتهم من المدينة إلى مكة أيام طويلة لجأ إلى اقتراض النقود والدروع من أغنياء مكة الذين لم يدخلوا الإسلام بعد. وسدد هذه الديون فيما بعد بتمامها من أموال الغنائم التي غنمها المسلمون في هوازن، وقال:

"إنما جزاء السلف الحمد والأداء". (الواقدي: ٢، ٨٦٣؛ أبو داود: البيوع، ٨٨ / ٣٥٦٢؛ الموطأ: النكاح، ٤٤)

فلو أن أي قائد عسكري آخر كان مكان النبي عليه الصلاة والسلام لأنزل أشد أنواع العقاب بأولئك الذين ما تركوا لوناً من ألوان الإساءة والإيذاء إلا

وأحقوه بالنبي عليه الصلاة والسلام وبأصحابه ولم يحاسبوا عليه، ولوضع يده على أموالهم وممتلكاتهم وأخذها غنيمة له ولجيشه. إلا أن سيد الخلق عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم على الرغم من الضائقة الشديدة التي كان يمر بها هو وجيشه الكبير وعلى الرغم من قوته وغلبته للقوم لم يفعل ذلك وإنما استلف منهم ما يكفي لمواجهة الاحتياجات من الدراهم.

لقد كان صفوان بن أمية (انظر: الموطأ، النكاح، ٤٤-٤٥) الذي طلب من النبي عليه الصلاة والسلام مهلة شهرين للتفكير بشأن الدخول إلى الإسلام، وأمهله الرسول عليه الصلاة والسلام أربعة أشهر، كان واحداً من أغنياء مكة. وقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام:

- يا صفوان هل عندك من سلاح؟

فقال صفوان:

- عارية أم غصباً؟

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

- لا بل عارية.

فأعاره صفوان ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً. وغزا رسول الله عليه الصلاة والسلام حنيناً، فلما هزم المشركون جمعت دروع صفوان ففقد منها أدرعاً. فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام لصفوان:

- إنا قد فقدنا من أدرعك أدرعاً فهل نغرم لك؟

فقال صفوان:

- لا يا رسول الله لأن في قلبي اليوم ما لم يكن يومئذ.

وكان صفوان قد أعاره الأدرع قبل أن يسلم، ثم أسلم بعد ذلك. (انظر: أبو داود، البيوع، ٨٨ / ٣٥٦٣).

فهذا واحد من نماذج الأمانة التي قدمها لنا رسول الله عليه الصلاة والسلام...

توضاً ذات يوم النبي ﷺ، فأسرع الصحابة الكرام إلى ماء وضوئه وأخذوا يمسحون به على وجوههم وبدنهم، وعيونهم. فسألهم رسول الله ﷺ:

- ما حملكم على هذا؟

قالوا:

- حب الله ورسوله.

فقال النبي عليه الصلاة والسلام:

- "من سره أن يحب الله ورسوله، أو يحبه الله

ورسوله فليصدق حديثه إذا حدث، وليؤد أمانته إذا ائتمن، وليحسن جوار من جاوره" (البيهقي: الشعب، ٢،

٢٠١؛ التبريزي: المشكاة، ٣، ٨١)

يقول سفيان بن عيينة رضي الله عنه:

"من لم يكن له رأس مال فليتخذ الأمانة رأس

ماله". (البيهقي: الشعب، ٧، ٢١٩/٤٩٠١)

وأما ضد الأمانة فهو الخيانة والغدر، وعدم الوفاء

بالعهد. وتعتبر هذه الصفات ذلاً ومهانة في الدنيا

والآخرة. حيث يقول رسول الله ﷺ:

"إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، فيقال: هذه

غدره فلان بن فلان" (البخاري: الجزية، ٢٢، الأدب، ٩٩، الخيل،

٩٩؛ مسلم: الجهاد، ١١-١٧)

ومر أبو هريرة رضي الله عنه بناحية فإذا إنسان

يحمل لبنا يبيعه، فنظر إليه أبو هريرة فإذا هو قد خلطه

بالماء! فقال له:

- كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة خلص الماء

من اللبن؟! (البيهقي: الشعب، ٧، ٢٣١/٤٩٢٧)

ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه:

"البيت الذي يكون فيه خيانة لا يكون فيه البركة".

(البيهقي: الشعب، ٧، ٢٢٠/٤٩٠٢)

ولهذا فإن من الواجب على التجار عندما يبيع بضاعة

أن يبين عيوبها للمشتري. ذات مرة كان محمد بن واسع

ﷺ الذي يعد واحداً من كبار أهل الحق والإيمان يبيع

حماراً في السوق، فجاءه رجل وسأله قائلاً:

- يا أبا عبد الله! أترضاه لي؟

فأجابه:

- لورضيته لك لم أبعه! (البيهقي: الشعب، ٧،

٢٢٦/٤٩١٣)

ويخبرنا ابن عباس ﷺ بالتهديد الإلهي الشديد الذي نزل بحق الذين يخسرون في الكيل والوزن، فيقول: "لما

قدم نبي الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى قوله:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ. أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ

أَنَّهُمْ مَّبْعُوثُونَ. لَّيَوْمٍ عَظِيمٍ. يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين: ١-٦) فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

يفهم مما تقدم أن الطمأنينة والسلام في الدنيا والآخرة يتحقق من خلال الصدق والامانة. ولا يمكن أبداً

بلوغ الفلاح الحقيقي من خلال إضمار مشاعر الخيانة والغدر، ونوايا الشر والسوء!

وذلك لأن الله ﷻ مضطلع على السر وما أخفى، حيث يقول:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر: ١٩)

المسلم

و واجبه تجاه غير المسلمين

يَحْمِلُ الْخَيْرَ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ

الدكتور: عماد أبو الرب
رئيس اللجنة الشرعية في أوكرانيا

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.
يقول الحق سبحانه وتعالى:
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا
يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: ١١٨)

ويقول سبحانه:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِهُمْ بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥)

وثمة آيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم وفي
مدلولاتها يبين الله سبحانه وتعالى ما ندب المسلم إليه
تجاه غير المسلم في التعهد بالدعوة والرعاية والاهتمام
والمحاورة والإقناع بالحسنى دون إكراه أو إقصار.

وعندما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

«من دَلَّ على خير فله مثل أجر فاعله» (رواه مسلم)

كان ذلك إبرازاً لدور المسلم في الحياة، خاصة في
هذا الزمان الذي يقل فيه الخير ويزيد فيه الشر، والذي



يجعل المسلم يستشعر عِظَم المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه الناس مسلمين وغير مسلمين.

إنَّ من أعظم أبواب الدلالة على الخير الدَّعوة إلى الله تعالى بحكمة وموعظة حسنة والقيام بمهام - أعتبرها من أهمِّ الواجبات - على كل مسلم ومسلمة تجاه غير المسلمين حتى نبلغ هذا الدين ونعرف به كما فعل نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

ومن أبرز هذه الواجبات التي يمكننا القيام فيها في

هذا المقام:

١- أن يكون صالحاً مستقيماً بحيث يكون قدوة له،

ونحن نعرف مدى تأثير القدوة في الإنسان وأنها من أسرع وأسهل طرق التأثير بالآخرين، وهذا ما كان يتميز به نبينا وحبينا محمد-عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم الذي جعله الله قدوة للبشرية جمعاء ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ (الأنعام: ٩٠)

فكان عليه الصلاة والسلام صادقاً

أميناً خلقاً وبهذا أثر على من آمن به ومن لم يؤمن به.

٢- أن يكون صادقاً معه، ومن أهمية الصدق قال

النبي عليه الصلاة والسلام فيه:-

«عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا» (متفق عليه)

إن الصدق من أوسع أبواب التأثير في الإنسان وهو صفة نبيلة يحبها الناس ويحتاجونها ولا تكون الثقة ولا يكون الإحترام إلا بها. وهي واجبة على المسلم في تعامله مع المسلمين وغير المسلمين ولذلك امتاز بها نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم في مكة مع المشركين.

٣- أن يحرص على دعوته بحكمة وموعظة حسنة، وأن يسعى لتعريفه بالإسلام ويحرص على دعوته والدَّعاء إلى الله بهدائه. وأن يستفيد من البرامج الدعوية والدَّعاة في تقريبه، وأن يحزن لبعده عن طريق الله.

٤- أن يحسن معاملته: وفي هذا قال المولى رحمه الله:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المتحنة: ٨)

والإحسان أثره كبير حتى على المخالف ولهذا قال الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

لطالما استعبد الإنسان إحسان

٥- أن لا يتدخل في حرية معتقده بمعنى ألا يسيء لمعتقده بشكل مادي أو معنوي وقد أرشدنا الله تعالى:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ

فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٨)

كما أرشدنا الله تبارك في علاه ألا نكره أحداً على أن يعتنق الإسلام بل إنه لا يتقبل إسلام المكره أو المجرى على ذلك ﴿لا إكراه في الدين...﴾ (البقرة: ٢٥٦)

٦- أن يتعاون معه على الخير فالخير من القيم الإنسانية التي على البشر أن يتعاونوا عليها، وهي مما أمرنا الله به: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢)

وهو يوصل الناس إلى إبراز القيم النبيلة كونه ثمرة من ثمرات الإيمان. ويستطيع المسلم مع غير المسلمين أن يقدم لهم عوناً ومساعدته كما قدم النبي عليه الصلاة والسلام لأهل مكة المشركين حينما أصلح بينهم عندما اختلفوا في وضع الحجر الأسود.



٧- أن يكون عادلاً في تعامله معه، وهذا ما أمرنا الله به حيث قال في محكم التنزيل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨)

قال ابن جرير الطبري: «يعني: اعدلوا أيها المؤمنون، على كل أحد من الناس ولياً لكم كان أو عدواً، فاحملوهم على ما أمرتم أن تحملوهم عليه من أحكامي، ولا تجوروا بأحدٍ منهم عنه» (تفسير ابن جرير الطبري ج ١٠ ص ٩٦)

وحذر النبي ﷺ من ظلم أهل الذمة، وجعل المعتدي عليهم خصماً له يوم القيامة، فقال: «من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس؛ فأنا حجيجه يوم القيامة» (رواه أبو داود)

٨- أن يحسن إلى جاره حقه، عن مجاهد بن جبر قال: «كنت عند عبدالله بن عمرو -وغلامه يسلم شاة- فقال: يا غلام، إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي، فقال رجل من القوم: اليهودي أصلحك الله؟ قال: إني سمعت النبي ﷺ يوصي بالجار، حتى خشينا أو رئينا أنه سيورثه» (البخاري، الأدب المفرد)

٩- أن يحسن إلى أقاربه غير المسلمين خاصة والديه، وهذا ما أمرنا الله به حين قال ﷺ:

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان: ١٥)

ومع الأقارب أوصانا النبي ﷺ بهم كما ورد عن أسماء بنت أبي بكر ؓ، قالت: قدمت عليّ أمي، وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومُدتهم مع أبيها، فاستفتت رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن أمي قدمت عليّ وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: «نعم، صليها». وقد ورد عن النبي ﷺ أنه أعطى عمر ؓ حُلّةً، فكساها عمر ؓ أخاً له بمكة مشركاً. (رواه البخاري ومسلم)

إن هذه الواجبات وغيرها مسئولية في عنق كل مسلم منّا يسأله الله تعالى عنها، خاصة لمن جاور أو تعامل مع غير المسلمين، فكثيراً ما نرى سوء التعامل معهم منفراً لهم ومظهراً للإسلام بغير صورته الحقيقية والتي تتسم بالساحة والاعتدال، وتبرز القيم الإنسانية النبيلة. وكثيراً ما رأينا الآثار الكبيرة لحسن التعامل مع غير المسلمين سواء اعتنقوا الإسلام أم لم يعتنقوه.



﴿... ادْفَعْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ
حَمِيمٌ﴾

عندما

ينقضي

عام!



علي بويوكجبار

فالزمن الذي نعهده ونحسبه - سواء أكان بالتقويم الميلادي أم الهجري - صرنا نستعمل بشأنه أرقاماً بخانة الآلاف، ونذكر نهايته معبرين عنها بالقيامة.

فكيف سنحاسب على الزمن؟

إن جواب هذا السؤال يجب أن يُراجع عند نهاية كل عام، ما الذي كسبته اليدان، وما الذي بقي بعد غربة الأمور؟

أريد أن أتحدث عن آية قرآنية عجيبة بشأن الزمن، إذ يقول الله تعالى في الآية الرابعة من سورة المعارج:

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤)

عندما ندقق النظر في عبارة (خمين ألف سنة) الواردة في الآية يتبين أن هناك فروقاً تتعلق بمدة ذلك السر الذي يُطلق عليه اسم "الزمن" عند الله تعالى وعند الإنسان.

عندما ينقضي عام من الأعوام التي تنقص من رأس مال عمرنا، ننتقل إلى زمن جديد. فيا ترى لِمَن يكشف الزمنُ أسرارَه؟ ومَن يخترق هذا الحجاب السحري الذي يحيط بكل لحظة من لحظاتها ليبيّن لنا كل الأحداث خلفه؟ وما الذي يجري؟

هل نستطيع نحن البشر - الذي يتكوّن كلُّ واحد منا من تلاقي اللحم والعظم ليبدو إنساناً - أن نتجنّب التفكير في أولنا وآخرنا؟

إن تلك الشعيرية التي تحاصرنا تفتح في القلوب جراحاً عميقة لا يتوقف نزيفها. يا ويلتاه، لقد مضى عام آخر، فإلى أين نحن سائرون، وما الذي سوف نواجهه في العقبى!

هناك فائدة في التوقف عند مفهوم الزمن. إذ بينما يسير عدّاد الزمن الذي يبدأ بالثواني ليمتد إلى قرون عديدة، فإن قُصَر حياتنا وكثرة الأعمال التي ينبغي القيام بها تُظهر مدى صحة حقائق القرآن الكريم.

تأخذ بيد الإنسان من خلال الحركات الجسمية لتضعه أمام كنز الوقت العظيم الذي عرفه المولى عز وجل بخمسين ألف عام، وتدعوه إلى اغتراف نصيبه منه.

وبينما يحمل صيام رمضان الذي يستمر شهراً كاملاً، وعبادة الحج التي تجري مرة في السنة، تلك الفضائل إلى أجواء أكثر تميزاً، فإن المال يُخضع لامتحان الزمن أيضاً من خلال الزكاة. وبينما تُحسب الأضحية، وصدقة الفطر، والعمر أيضاً بالزمن، فإن التوحيد مع كل نفسٍ يحيي وينعش الآمال.

لقد ذكر مفهوم الزمن في القرآن الكريم في آيات مختلفة. وعندما لا نفصل بين الدنيا والآخرة، يمكن أن نحول مفهوم التوحيد إلى ضياء لقلوبنا، ندرك نعم الزمن.

لا تتأخر وتبقى مع الماضي

وكذا لا تحض في خيال المستقبل

ولا تتألم على واقعك

لنرى ما يُعده لنا المولى

فنعلم ما يُعده المولى (إبراهيم حقّي الأرضرومي)

إن التاريخ الإنساني المعروف يعود إلى ما قبل ثمانية آلاف عام كما يتبين من المصادر المكتوبة للحضارة السومرية. وأما فيما يتعلق بتاريخ ظهور آدم ﷺ والأنبياء الذين جاؤوا، فليس لدينا بشأن ذلك سوى معلومات شحيحة جداً. وليس لدينا معلومات كثيرة أيضاً بشأن سيدنا نوح ﷺ، وحادثة الطوفان، وعن سيدنا إبراهيم ﷺ الذي جاء بعده. وإذا ما دققنا النظر في تاريخ الأنبياء فإن حقائق علم التاريخ تضعنا وجهاً لوجه مع حياة سيدنا ونبينا محمد ﷺ، وتزودنا بمعلومات موضوعية، والوثائق المتوفرة تنير هذه الحقائق. فهل هذا ممكن بالنسبة للأنبياء الآخرين؟

ما قيمة الزمن بالنسبة ليومنا؟

يجب أن نتحدث عن أوقات المسلم. لدى الكشف عن مراحل الوقت للإنسان المسلم، مثل الأربع والعشرين ساعة، أو شهر المسلم أو عامه، فإن عبارة (خمسة أوقات) لها وقع ودلالة في غاية الروعة! أجل، إن اليوم الواحد للمسلم يحسّد سرّ خمسة أوقات، إذ إن العبادة التي تجري في هذه الأوقات والتي تبدأ بالوضوء

أه يا أمي!

ثروت يوكسل

في قلبي حزن غامض عميق يا أمي!
أصبحت خائفة من نفسي، ومن غدي..

ابتسامتك تواجهني في المرايا يا أمي!
خذيني إليك وأنقذي من أزقة الغربة هذه..
أوصيتني باللجوء إلى الحق، وإلى مقام خضر وإلياس
من شر الشيطان، ومن ضيق النفس..

لولا أدعيتك وتضرعاتك الدامعة يا أمي!
لن أنجو من مصائد البرية الموحشة..
ألن يخرج ويأتي ذاك الطفل المشاغب؟
من شمس الجبال الأرجوانية، من الثلج..

ألن ينقص المنتظرون والناظرون إلى الطرقات؟
من أوقات فجر حنيني التي يرفع فيها الأذان..
اشتقت إلى النوم على ركبتيك يا أمي!

لم يعد لدي طموح، فقد تجاوزت عن بلوغها..
راقبت في مفكرتي ذاك اليوم على الدوام
فكيف مرت السنوات أمام ناظري..
كل ليلة يعبث الموت بعقلي
احترقت مثل الصحراء من نار الشوق..
قولك (تعال) يمزق قلبي
فيا ليتني أقبل تلك الأقدام التي تفوح منها رائحة الجنة..



العقل السليم والعدالة



قال رسول الله ﷺ:

"لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين."

لقد كان الشاعر المشرك أبو عزة الجمحي من أشد الشعراء عداوة وهجاء النبي ﷺ. ووقع هذا الشاعر أسيراً بيد المسلمين في معركة بدر. وكان كثير العيال من البنات، فأخذ يتوسل إلى النبي ﷺ ويرجوه بأن يطلق سراحه بقوله: "من للصبيبة يا محمد!". فعفى عنه النبي ﷺ وأطلق سراحه دون فدية على أن لا يعود إلى قتال وهجاء المسلمين مرة أخرى وأخذ منه عهداً وميثاقاً على ذلك. حتى أن هذا المشرك ومن شدة امتنانه وسروره بهذا العفو ارتجل شعراً رائعاً في مدحه. إلا أنه عاد فيما بعد إلى كفره وهجائه الشعري، وإلى محاربة المسلمين. ولما وقع أسيراً بيد المسلمين مرة ثانية في معركة بدر، أخذ يتوسل إلى النبي ﷺ من جديد للعفو عنه، إلا أن النبي ﷺ لم يعف عنه، وقال له الحديث الذي ذكرناه.

"السعيد من وعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره"

(مسلم)

"أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم" (الدليمي)

يقول المناوي: "العقول لا تحتل إلا على قدر طاقتها، فإن أزيد على العقل فوق ما يحتمله استحال الحال من الإصلاح إلى الفساد. ولهذا السبب فإن الكثير من أهل العلم والعرفان منعوا الاطلاع على بعض من كتب

التصوف التي يصعب فهمها، ويستشكل تأويلها من قبل من هم ليسوا بأهل لذلك."

وقد قال ضياء باشا Ziya Pasa بذلك أيضاً.

"إن فهم المسائل الكبيرة لا يقتضي هذا العقل الصغير، هذا الميزان لا يتحمل مثل هذا الثقل."

"الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، إنما الفضل بالتقوى. ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي ترى له."

فهذا واحد من الأصول والمصادر المقدسة لحقوق الإنسان والمساواة بين الناس بالنسبة لديموقراطية الإسلام.

إن مفهوم التقوى "العبادة" الذي يحقق الأفضلية شامل لكافة وظائف وواجبات الإنسان، سواء الشخصية، أو العائلية، أو المجتمعية، أو الوطنية. وذلك لأن كل هذه الواجبات تُعد عبادة في ديننا. وإن هذا الحديث الشريف فيه إشارة إلى حق الصحبة وواجباتها أيضاً.

"كما تكونوا يول عليكم." (الدليمي)

إن الحكومات ورجال السلطة "الحكام" هم من نسيج وبنية المجتمع ونتاجه. فكلما كانت البنية أي الأمة أو المجتمع أياً كانت التسمية، مهما كانت صالحة وسليمة، وخيرة، كان الحكماء وولاة الأمور كذلك. ومن الخطأ الكبير أيضاً التغاضي عن البنية وإهمالها، ثم التوجه إلى الحكومة ومطالبتها بكل شيء. فلنقم أولاً بإصلاح أنفسنا كأفراد، ثم إصلاح المجتمع، وعندها سوف نلاحظ بشكل جلي أن كل شيء قد دخل في عملية الإصلاح.



الحبر

وفي حديث آخر يقول رسول الله ﷺ:

"إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون، والمتشدقون، والمتفقهون." (الترمذي)

رأى مطرف بن عبد الله بن الشخير المهلب وهو يتبخر في مشيته وقد ارتدى جبة خز فقال له:

- يا عبد الله، هذه مشية يبغضها الله ورسوله.

فقال له المهلب:

- أما تعرفني؟

فقال مطرف:

- بلى. أعرفك، فأنت أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قدرة، وأنت بين ذلك تحمل العذرة.

فمضى المهلب وترك مشيته تلك.

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

- رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيته من المسلمين، وأن ترضى بالدون من المجلس، وأن تكره أن تذكر بالبر والتقوى.

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

- إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله.

صادق دانا، جلسات وأحاديث ألتون أولوك-٤، ص، ١٦٦-١٦٦.

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز:

﴿يُطِيعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (غافر: ٣٥)

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (النحل: ٢٣)

ويقول رسول الله ﷺ:

"إن العجب ليحبط عمل سبعين سنة." (الجامع الصغير)

وناجي سيدنا موسى عليه السلام ربه فقال:

"يا رب من بين عبيدك تغضب عليه أكثر. فقال الله ﷻ: أشد من أغضب عليه متكبر القلب بذيء اللسان ضعيف الإيثار بخيل اليد."

يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

"إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم، وإذا رأيتم المتكبرين، فتكبروا عليهم، فإن ذلك مذلة لهم وصغاراً. والتكبر على المتكبر صدقة."

وقال أيضاً:

"لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان. ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء." (مسلم)

"يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذَّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بَوْلَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْبَارِ، يَسْقُونَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ." (الترمذي)



يوميات القرآن الكريم

جعفر دورموش

شخصيتان

بجملة

وتذكر الروايات التي وصلتنا أن فرعون وقومه الذين هُزموا وُهِتوا أمام المعجزات التي جاء بها سيدنا موسى عليه السلام مثل معجزة العصا، واليد البيضاء، والأخذ بالسنين، ونقص الثمرات، استمروا في إنكارهم بعد رؤية كل هذه المعجزات التي رأوها بأم أعينهم. فدعا عليهم سيدنا موسى عليه السلام:

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس: ٨٨)

فاستجاب الله تبارك وتعالى دعاء سيدنا موسى عليه السلام، وأنزل على فرعون وقومه العذاب على ما اقترفوه من الذنوب والمعاصي.

ولم يكتفِ فرعون بإنكار دعوة موسى عليه السلام والمعجزات المتلاحقة التي جاء بها، وإنما وجَّه إليه اتهامات وافتراءات، إذ قال فرعون:

هناك آيتان في القرآن الكريم تبينان أشياء كثيرة بأقل عدد من الكلمات، إذ يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا . قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَحْبُورًا﴾ (الإسراء: ١٠١-١٠٢)

تبين هاتان الآيتان تأييد الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام بالكثير من المعجزات، وتبينان أيضاً إصرار المنكرين والمتجبرين من أمثال فرعون على كفرهم وعنادهم. وتشير هذه الكلمات أيضاً إلى مصير الذين يواجهون سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام ويعارضون دعوته، إذ إنهم سوف يلقون المصير ذاته الذي لقيه فرعون ويتعرضون للهلاك مثله؛ فهي تشكل سنداً وعوناً للنبي عليه الصلاة والسلام ولأُمَّته بشأن تحليهم بالأمل والتفاؤل الدائم في جهادهم وكفاحهم.

﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (الشعراء: ٢٧)

وأراد بهذا القول الخط من شأن سيدنا موسى ﷺ والنيل من اعتباره في نظر المجتمع.

إن جواب موسى ﷺ على قول فرعون له:

"يا فرعون، حتى وإن لم تقر وتعترف بلسانك فإنك تعلم ذلك جيداً بقلبك. إذ لو أنك نظرت بعين عقلك لعلمت بأن المعجزات التي أتيت بها إنما أعطيتها من رب العالمين لتكون عبرة للناس. إنك تدرك غاية الإدراك بأن كل معجزة من معجزاتي هي دليل واضح وصريح على صدق نبوتي وصحتها، إلا أنك تعاند وتستكبر ولذلك تنكر وترد كل ذلك.

يا فرعون، إنك تتكلم بما يتوافق مع هواك ومصالحتك، وليس بما يتوافق مع قلبك. وإنك تتكلم ليس من أجل تحديد الطرف المخطئ والطرف المصيب وبالتالي إظهار الحق، وإنما تتحدث بقصد احتقار خصمك الذي تخاطبه والاستهزاء به. وإنك تقول هذا من أجل خداع عقول الناس".

كان موسى عليه السلام يقول ذلك دون مبالاة بالإساءة التي وجهها فرعون لشخصه، ويقدم المعجزات التي تحدث الله تعالى عنها دليلاً على أن كلامه يمثل عين الحقيقة.

فلو أمعنا النظر والتفكر هنا لوجدنا أن الجملة التي تحدث بها كل طرف لمخاطبه ترسم لنا الميزات والخصائص الشخصية لشخصيتين مختلفتين. إذ إن كلاً من سيدنا موسى عليه السلام وفرعون كان ينظر إلى حال الآخر ويتحدث عن ظنه وتوقعه حول المستقبل. إلا أن الفرق الموجود هنا هو أن الظن الذي قدمه فرعون هو الظن الباطل، وأما الظن الذي قدمه سيدنا موسى عليه السلام فكان الظن الصادق. وقد

تم من خلال شخصية فرعون بيان بأنه سوف يظهر في كل عصر وزمان شخصيات تعمل على تشويه صورة خصمها أو مخاطبها في حال شعورها بالانهزام والضعف أمامه فكرياً. وكذلك تم من خلال شخصية سيدنا موسى عليه السلام رسم خريطة الطريق التي ينبغي على كل من أخذ على عاتقه خوض معركة التوحيد اتباعها والسير عليها. وهناك إشارة إلى ضرورة إيجاد السبل التي تمكن المرء من بيان الحقيقة حتى في أصعب الظروف والأحوال. وكذلك هناك إشارة إلى ضرورة الوصول إلى الناس المتكبرين والمعاندين نتيجة انخداعهم بمظاهر السلطة والثروة الدنيوية التي تملكوها، وتبين أيضاً وجوب تذكير المنكرين بالعاقبة الوخيمة التي تنتظرهم في المستقبل.

أجل. إن فرعون قال لموسى ﷺ:

﴿...أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾

وقال له موسى ﷺ:

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ (أي هالكا).

إن هاتين الجملتين اللتين استخدمهما بالصيغة نفسها الطرفان المتحاوران ولكن بنية مختلفة نموذج مهم من النماذج المماثلة التي يصادفها المرء بشكل متكرر في القرآن الكريم. ومثل هذه الجمل ملفتة للانتباه من حيث فتح باب تحليل الشخصيتين المختلفتين.

إن هذه الجمل تعلمنا جميعاً ضرورة متابعة تبليغ الحق في سبيل الله دون الالتفات إلى إساءة المسيئين ونقد المنتقدين، وتعلمنا التحلي بالأمل والتفاؤل حول المستقبل، وتعلمنا وجوب تذكير العصاة والمنكرين بنهاياتهم المقدرة والمحتملة. وهي تبث الآمال الجميلة حول المستقبل، والأمل بالوصول الحتمي ذات يوم إلى مرحلة "الظن الصادق".

قُوا ذُرِّيَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ

البروفسور: عمر جليك

ثمة كثير من الأخبار حول قلق الأنبياء والرسل على ذريّاتهم، وتضرعهم الدائم إلى الله تعالى من أجل حفظهم ورعايتهم من سوء والأخطار. ومثال ذلك إبراهيم عليه السلام الذي كان يدعو ربه تعالى، فيقول:

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ...﴾ (البقرة: ١٢٨)

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (ابراهيم: ٤٠)

وتضرّع سيدنا زكريا عليه السلام إلى ربه قائلاً:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا. وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (مريم: ٤-٦)

ويأمر الله سبحانه وتعالى عباده المسلمين بالأدعية التي تتضمن معنى المحبة، والخشية، والاهتمام الشديد

بذريّاتهم، إذ يقول في هذا الشأن:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤)

فعلى الإنسان ألا يكتفي بالعمل على النجاة بنفسه فقط من عذاب الله تعالى، وإنما هو مسؤول في الوقت نفسه - على قدر استطاعته - عن تربية أفراد أسرته تربيةً تجعلهم من العباد الذين يحبهم الله تعالى ويرضى عنهم. وعلى الإنسان عدم الاكتفاء بتلبية احتياجات أبنائه الدنيوية من مأكّل، وملبس، ومشرب، وتأمين وسائل السلامة والرفاهية؛ وإنما ينبغي أن يكون تفكيره منصباً بشكل أكبر على كيفية حفظهم وحمايتهم من أن يتحولوا إلى حطب لنار جهنم في الآخرة. وقد أشار ربنا تعالى إلى هذه الحقيقة في آية قرآنية فيها تحذير شديد في هذا الشأن، إذ قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ (التحريم: ٦)

ويقول رسول الله عليه الصلاة والسلام:

"ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته... والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم..." (البخاري: الأحكام، ٤١ مسلم: الإمارة، ٢٠)

لذلك ينبغي للآباء والأمهات الحرص على تربية أبنائهم. ونحن بدورنا نحاول أن نبين طبيعة التربية التي يجب أن يتلقاها الطفل داخل الأسرة على شكل مسائل مترابطة، لعلنا بذلك نقدم مساهمة - ولو كانت بسيطة - في لفت انتباه الآباء والأمهات إلى المسؤولية المترتبة عليهم في هذا الشأن، وتوجيههم على القيام بما هو مطلوب:

١. التربية العقائدية

إن جوهر الأمر كله هو عقيدة سليمة وصحيحة موافقة للإسلام، والإيمان بكل ما يجب الإيمان به، ثم الإقرار بكل ذلك قطعاً والعمل بما يقتضيه. فالنبي ﷺ كان عندما يبدأ أحد من أطفال بني عبد المطلب بالكلام، يُقرؤه ويعلمه قول الله تعالى:

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾ (الإسراء: ١١١)

وقد قال النبي ﷺ في حديث شريف:

"افتحوا على صبيانكم أول كلمة بـ: لا إله إلا الله". (البيهقي: شعب الإيمان، ٦، ٣٩٨)

ولذلك ينبغي لنا أن نتحدث لأبنائنا دائماً سواء في مجالسنا الأسرية، أو على موائد الطعام، أو في أي مكان آخر عن عظمة الله، وعن خلقه للكائنات، وعن

الهواء الذي نتنفسه، وعن كل ما نتمتع به من أصناف الطعام والشراب وغيرها من النعم الكثيرة التي لا تُعد ولا تحصى، لنكون عوناً لهم في ترسيخ إيمان قوي بالله تعالى في قلوبهم. وينبغي لنا أن نذكرهم دائماً بأن الرسول الأكرم سيدنا محمد ﷺ هو رسول الله، وأن هذا الأمر يقتضي بأن تكون محبة ربنا سبحانه وتعالى ومحبة نبيه ﷺ في قلوبنا أقوى من محبة أي شيء آخر، لأنه لا يصدر عن القلب المشرب بمحبة الله ورسوله إلا الخير والعمل الصالح.

٢. تعليم العبادة

إن تعليم العبادة الصحيحة يأتي بعد التربية العقائدية والإيمانية الصحيحة. لقد أكد ربنا ﷻ على أهمية مسألة تعويد الصغار على الصلاة، فقد قال المولى ﷻ في كتابه الكريم لافتاً الانتباه إلى ضرورة إيلاء اهتمام أكبر للصلاة سواء من الأفراد، أو الأسرة، أو المجتمع:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه: ١٣٢)

وكان النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية يذهب إلى باب بيت ابنته السيدة فاطمة ﷺ ويدعوها وزوجها إلى الصلاة... (البخاري: التهجد، ٥٥ مسلم: المسافرين، ٢٠٦)

ويقول رسول الله ﷺ:

"مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع". (أبو داود: الصلاة، ٢٦)

وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يولي أهمية كبيرة لتعليم الأولاد القرآن الكريم، حيث قال:



لما نزلت الآية السادسة من سورة التحريم، سأل سيدنا عمر رضي الله عنه رسول الله ﷺ: يا رسول الله، نقي أنفسنا فكيف لنا بأهليتنا؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "تنهون عما نهاكم الله عنه وتأمروهن بما أمركم الله به فيكون ذلك وقاية بينهن وبين النار" (الألوسي: ٢٨، ١٥٦)

"مَنْ عَلَّمَ ابْنَهُ الْقُرْآنَ نَظَرًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَمَنْ عَلَّمَهُ إِيَّاهُ ظَاهِرًا بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَيُقَالُ لِابْنِهِ: اقْرَأْ. فَكُلَّمَا قَرَأَ آيَةً رَفَعَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ الْأَبَ بِهَا دَرَجَةً، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ مَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ". (الهيثمى: ١٦٥، ٧-١٦٦)

٣. تربية وتعليم اجتناب المعاصي

كان النبي ﷺ عندما يحذر أم المؤمنين السيدة عائشة من المعاصي يستخدم هذه العبارة الملفتة للانتباه: "يا عائشة، إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً." (ابن ماجه: الزهد، ٢٩؛ الدارمي: الرقاق، ١٧)

٤. تعليم وتربية الإنفاق

علينا تعويد أطفالنا على مساعدة المحتاجين، وعلى التضحية بقدر استطاعتهم، مثلما نعوّدهم على الصلاة في سنٍّ مبكرة. وينبغي أن يتذوق أطفالنا وفلذات أكبادنا وهم في مرحلة الطفولة والشباب لذة مساعدة الآخرين ودعائهم لهم، وأن يرغبوا بتذوق تلك اللذة والمتعة المعنوية أكثر من رغبتهم بتذوق طعام شهوي. وينبغي أن يعيشوا السلام والطمأنينة المعنوية عندما يدعو المحتاج لهم، إذ لو نشأ الأطفال وكبروا وهم محرومون من هذه المتع والملاذات المعنوية السامية، فمن العسير أن يتلقوا هذه التربية والتعليم في السنين المتقدمة من أعمارهم، فيُحرمون من هذا العالم الروحاني الفسيح، ويصبح هؤلاء في حال يصعب عليهم فيها فهم الإسلام والعيش وفقهه. لهذا فإن الصالحين من الناس والعلماء وأهل الحق يلقنون أولادهم، ويعلمونهم الإنفاق في صغرهم مثلما يعلمونهم الإيثار والصلاة، ويعودون أولئك الصغار ذوي القلوب النقية الطاهرة على محبة المحتاجين وتقدير العون لهم.

يقول شيخنا عثمان نوري طوبّاش: "لقد كان والذي موسى أفندي رحمه الله يأخذنا معه ونحن أطفال صغار إلى المساجد، ويزودنا بمعلومات عن تلك المساجد،

وكان يضع بعضاً من النقود في أيدينا ويطلب منا أن نعطيها لأصحاب الحاجة هناك. وكانت والدتي رحمها الله تُعِدُّ في البيت أطعمة لذيذة، ثم تغلفها وتطلب منا أخذها إلى المرضى من جيراننا. وكنا نأخذ ذلك الطعام ونعطيهِ للمريض فنسمع دعاءه لنا ونُسَرُّ سروراً كبيراً. حتى إننا كنا نرغب بأخذ الطعام إليهم مرةً أخرى لنسمع الدعاء ونعيش تلك السعادة الروحية."

٥. التربية على الحشمة والحجاب

إن التستر صفة خاصة بالإنسان، وأمر ديني عظيم. ولقد تعرض الناس في يومنا هذا إلى مصيبة كبيرة في هذه المسألة، إذ إن أشكال الألبسة التي لا تناسب الفطرة الإنسانية ألبتة منتشرة على نطاق واسع. لذلك علينا تعليم أطفالنا في عمر مبكر على الحشمة والتستر داخل الأسرة سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً. ومما يدعو للأسف في أيامنا هذه أن الكثير من الآباء والأمهات قد انحرفوا نحو تفكير خاطئ في هذه المسألة بقولهم: "إن الأولاد ما زالوا صغاراً، وسوف يبدؤون بارتداء الحجاب والثياب الطويلة عندما يكبرون."

ومثل هذا التفكير بعيد عن الصواب، فالطفل عندما يتلقى هذه التربية وهو صغير السن، فإنه عند البلوغ سوف يرتدي الحجاب الذي أمر به الإسلام دون أي جبر أو إكراه. ونورد في هذا الشأن حادثة ملفتة للانتباه وقعت في زمن النبي ﷺ: دخل رسول الله ﷺ يوماً على عائشة رضي الله عنها، وعندها أختها أسماء رضي الله عنها، وعليها ثياب سابغة واسعة الأكمة، فلما نظر إليها النبي ﷺ قام فخرج. فقالت لها عائشة: تنحي، فقد رأى منك رسول الله ﷺ أمراً كرهه. فتنحت فدخل رسول الله ﷺ فسألتها عائشة: لم قام؟ فقال:

"ألم تري إلى هنتائها إنه ليس للمرأة المسلمة أن يبدو منها إلا هكذا"، وأخذ كفيه غطى بهما ظهر كفيه حتى لم يبد من كفيه إلا أصابعه، ثم نصب كفيه على صدغيه حتى لم يبد إلا وجهه. (الهيثمى: ١٣٧، ٥)

٦. القلق بشأن المستقبل والاستعداد للآخرة

يسود بين الآباء والأمهات في عصرنا الحالي حال من القلق المفرط والعجيب حول مستقبل الأولاد. وتدور تساؤلات حمة في تفكيرهم، مثل: ماذا سيكون مستقبل أولادنا؟ ماذا سيأكلون ويشربون؟ وأين سوف يعملون؟ وهل سيكونون عمالاً أم مديرين؟ إلا أننا لا نجد بين كل هذه التساؤلات تساؤلاً حول الحياة الأبدية التي سينتقل إليها هؤلاء الأطفال يوماً ما. مع أن المستقبل الأساسي هو الآخرة، والعيش الحقيقي هو عيش الآخرة؛ فينبغي أن يكون القلق الأساسي بشأن الآخرة. والغاية الأولى لإرسال الأنبياء وإنزال الكتب هي إخبار الناس بهذه الحقيقة.

ففعالوا معنا نتعلم كيف ينبغي تربية الأولاد في هذا الشأن من المعلم الحقيقي ألا وهو النبي ﷺ:

كانت فاطمة بنت النبي ﷺ من أحب أهله إليه. وإنها جرت بالرحى حتى أثر في يدها، وأستقت بالقرية حتى أثر في نحرها، وكُنست البيت حتى اغبرت ثيابها. فأتى النبي ﷺ خدماً، فطلبت من أبيها خادماً. فقال رسول الله ﷺ لها: "اتقي الله يا فاطمة، وأدّي فريضة ربك، واعلمي عمل أهلك، فإذا أخذت مضجعتك فسبحي ثلاثاً وثلاثين، واحمدي ثلاثاً وثلاثين، وكبري أربعاً وثلاثين، فتلك مئة فهي خير لك من خادم". ولم يعطها خادماً. (أبو داود: الخراج، ١٩ - ٢٠ / ٢٩٨٨؛ وانظر أيضاً البخاري: الخمس، ٦)

٧. أن يكون الأب والأم مثلاً وقوة

نادت الكنغر الأم وليدها قائلة: يا بني لم تسير قفزاً هكذا؟ سرّ كما ينبغي!

فأجاب الكنغر الصغير أمه قائلاً:

"يا أمي العزيزة، أنا لم أرك إلا تمشين هكذا. وقد تعلمت مشيتي منك، فلو أنك كنت تمشين بشكل سوي، لسرت أنا أيضاً مثلك".

والحق أن هذه الأقصوصة تقدم لنا سائر التفاصيل عن المعنى المقصود من أن يكون الآباء والأمهات داخل الأسرة قدوة لأبنائهم في مسائل آداب السلوك، والفضيلة، والأخلاق الحميدة، وأعمال الخير. ولا حاجة أبداً لمزيد من الكلام.

ولهذا فإن الآباء والأمهات يتحملون مسؤولية كبيرة في مسألة تربية أفراد الأسرة من الناحية الدينية. وهذه المسألة في غاية الدقة وغير قابلة للإهمال أو التساهل والتقصير فيها. لأنه ثمة كثير من العوامل والمؤثرات الخارجية التي قد تُزِيل الشعور الديني لا سيما لدى الشباب، وتُثير الأهواء والمشاعر النفسانية فيهم، فتُبْعِدُهم عن الروحانية وتحوّلهم إلى خدام وعبيد لأهواء النفس.

إن للمدرسة، والشارع، والمحيط الاجتماعي من هذه الناحية طبيعةً تحمِلُ الضرر أكثر من النفع. وأما وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة لا سيما (الإنترنت) فإن لها تأثيرات هدامة لا يمكن حصرها وعدّها. يتضح من كل ذلك مدى ضرورة بذل الجهود في سبيل التربية الدينية لأبنائنا لمواجهة تلك العوامل والمؤثرات السلبية.



جعفر الصادق

(رحمه الله)

الحمد لله
من أولياء الله

يقول جعفر الصادق رحمه الله تعالى:

"إن الله تعالى خبأ ثلاثاً في ثلاث:

(١) رضاه في طاعته: فلا تحقروا منها شيئاً، فلعل رضاه فيه.

(٢) وغضبه في معاصيه: فلا تحقروا منها، فلعل غضبه فيه.

(٣) وخبأ ولايته في عبادته: فلا تحقروا منهم أحداً، فلعله ولي الله ﷺ."

(أبو طالب المكي: قوت القلوب، ١، ٣٤٧؛ الغزالي: إحياء علوم الدين، ٤، ٤٩)



كاهله، سترك مثل هذه الأعمال التي تبدو في نظرهم حقيرة، إلا أن الأمر بقي على حاله ولم يطرأ عليه أي تغير، واستمر رضي الله عنه في تأدية هذه الخدمة التي علم أنها مقدرة عليه بكل تواضع ورضا.

وإذا كنا نؤمن بأن الله تعالى وحده الذي يعلم أي الأعمال الصالحة التي تحبب العبد إليه وينال بها رضاه، فلا بد أن نؤمن أيضاً أن غضب الله ﷻ ربما يتجلى في ذنوب صغيرة، وقد يتجلى في ذنوب متوسطة أو كبيرة، وأمر ذلك عائد إلى الخالق وحده. والإنسان العارف المدرك لهذه الحقيقة يشعر بثقل كثقل الجبال على عاتقه إذا ما ارتكب ذنباً صغيراً بحق أي من العباد. وأما الغافل الشارد عن هذه الحقيقة فلو اقتراف أكبر الذنوب فإنه يشعر بها خفيفة على عاتقه، وممتعة لنفسه.

ويضيف رحمه الله على ما سبق:

"وخبأ إجابته في دعائه، فلا تتركوا الدعاء، فربما

كانت الإجابة فيه" (الغزالي، إحياء، ٦، ٤٩)

فإن رضا الله ﷻ يكون مخبأً في أشياء كبيرة تارةً، ويكون في أشياء متوسطة أو صغيرة تارةً أخرى. فعلى الإنسان المؤمن القيام بجميع الأعمال الصالحة دون تمييز في قدرها، سواء كانت هذه الأعمال تبدو في نظره كبيرة أو صغيرة.

كان أبو بكر رضي الله عنه قبل أن يصبح خليفة للمسلمين، يعتني ببنات يتيمات يسكن في جواره، فيرعى لهن أغنامهن، ويقوم بشؤونهن. وبعد أن تولى ﷺ الخلافة على المسلمين ساد اعتقاد بين الناس أنه بتغير ظروف الحياة على أبي بكر وشؤون الخلافة الكبيرة الملقاة على



الله ﷻ، والسخرية منهم، والكبر والغرور، صفات لا تستقيم مع الأخلاق الإسلامية الحميدة. ويحذر المولى ﷻ عباده من مثل هذه الأخلاق الرذيلة بقوله:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الهمزة: ١)

وقد أشار نبينا محمد ﷺ إلى أصل من الأصول المهمة، إذ قال:

"كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره" (الترمذي: المناقب، ٤٥/٣٨٥٤) وقال أيضاً:

"ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف مُتَضَعِّفٍ، لو أقسم على الله لأبره" (البخاري: الأيمان، ٩، التفسير ٦٨/١، الأدب ٦١؛ مسلم: الجنة، ٤٧)

فيظهر لنا من كل هذا أنه على المؤمن بالله أن يُحَسِّنَ الظن بعباد الله مهما كان حالهم، وأن يعاملهم بأدب وإحسان. وعلينا المداومة -بقدر طاقتنا- على الدعاء إلى الله تعالى، بكل الأدعية التي نعرفها، ابتداءً من تلك الواردة في القرآن الكريم، والمأثورة عن النبي ﷺ وغيرها، لأننا لا نعلم أي دعاء قد يكون مقبولاً وسبباً في نجاتنا، ونجهل بفضل دعاء أي شخص قد ننال رحمة الله.

سُئِلَ جعفر الصادق رحمه الله: "ما بالنا ندعو بالدعاء، فلا يستجاب لنا؟".

فقال:

"لأنكم تدعون ذاتاً لم تعرفوه حق معرفته".

ومثل هؤلاء يفتنون عمرهم في غمار شهواتهم الدونية، ويتيهون في سكرة غفلتهم ظانين أن أبواب السعادة قد فُتِحَتْ لهم على مصراعها.

يقول الصحابي الكريم عبد الله بن مسعود ﷺ:

"إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه" (البخاري: الدعوات، ٤؛ مسلم: التوبة، ٣)

وانطلاقاً من هذه الرؤية لا يُفَرِّقُ المؤمن أبداً -سواء فيما يتعلق بالذنوب والمعاصي أو الطاعات- بين صغيرة أو كبيرة فيها، وإنما يبذل قصارى جهده في تجنب المعاصي، والإتيان بالطاعات مهما صغرت. وعلى المؤمن النظر إلى هذا الأمر على أنه امتحان من الله ﷻ، وعليه تقييم كل المسائل بفراصة وبصيرة وإحساس بالعبودية المطلقة لخالقه ﷻ من صميم قلبه، وبكل كيانه. وعلى المؤمن أن لا يبعد عن ذهنه أبداً القاعدة التالية: "عليك أن تُعَدَّ كُلَّ مَنْ رَأَيْتَ الْخَضِرَ، وَكُلَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةَ الْقَدَرِ".

وقد قيَّد الله ﷻ فضل العبد وعلو شأنه على الآخرين بشرط التقوى، لأن قيمة العبد لدى الله ﷻ لا يعلمها

إلا هو سبحانه وتعالى. والتقوى محلها القلب، وأبواب القلب مغلقة إلا على الله ﷻ. وكما أن الإنسان يستحيل عليه الاطلاع على ما في القلوب والعلم بها، فمن البديهي أن يجهل مَنْ له الفضل والامتياز من العباد. وعلى هذا الأساس فإن الاستهزاء بعباد



عندما يتفكر المؤمن بقدرة ربه ﷻ وعظمته، يبدأ باكتساب معرفة الله ﷻ، فمعرفة الله هي العلم بالله تعالى شعوراً بالقلب، ويقيناً بالعقل. ودرجة قبول الحق تعالى للعبادات مرتبطة بشعور العبد وإحساسه بمعرفة الله تعالى. ويشير الله ﷻ إلى ذلك في قوله:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩)

إن المقصود بالعلم في هذه الآية هو العلم بالله تعالى، أي معرفة الله ﷻ.

ومن ناحية أخرى، كلما ازدادت معرفة العبد و يقينه بربه، ازداد دعاؤه والتجاؤه إليه. وإخلاص العبد لربه والتوجه إليه بالدعاء والعبادات بقلب صافٍ إنما هو أساس تقربه إلى الله تعالى. وتوضح الآية الكريمة التالية هذه الحقيقة:

﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ (الفرقان: ٧٧)

ولهذا فإن المؤمنين العارفين بالله نراهم دائمي الذكر والالتجاء إلى ربهم بالدعاء،

فحياتهم كلها قائمة على الدعاء والتضرع سواء في السراء أو الضراء. وابتعاد العبد عن الدعاء إشارة إلى بعده عن الحق. وما أصل كل الذنوب والمعاصي إلا الحرمان من معرفة الله تعالى، أي قلة المعرفة التي تليق بالله ﷻ.

ذات مرة نبّه قاسم بن محمد شخصاً عندما سمعه يقول عن رجل ارتكب ذنباً:

"ما أجزأ فلان على الله تعالى!"

فقال له قاسم بن محمد:

"ابن آدم أهون وأضعف ممن يكون جريئاً على الله، ولكن قل: ما أقل معرفته بالله" (ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٩، ١٨٠)

فالمؤمن العارف بالله تعالى يلتجئ إلى ربه بمشاعر الخضوع، والتذلل، والعجز، ويلتزم حدود الأدب، فيكون عبداً لربه باختياره. يقول الحسن البصري رحمه الله:

"لا أخشى عليكم من قول: لا يُستجاب دعاؤنا، وإنما أخشى عليكم الامتناع عن الدعاء".

فترك الدعاء بظن عدم الاستجابة هو وقوع في مكيدة الشيطان، وعليه فإن المؤمن الحق لا ينبغي أن يدع سلاح الدعاء الذي يحميه من الشيطان عدوه الأزلي اللدود، وإنما ينبغي أن يلهج لسانه بالدعاء دائماً ومن صميم قلبه. إن الدعاء عبادة عظيمة إذ إنها أمرُ الله، كما أن النبي ﷺ يقول في الأحاديث الشريفة:

"الدعاء هو العبادة" (رواه الترمذي: ٣٣٧٢). "الدعاء مخ العبادة". (رواه الترمذي: ٣٣٧١). "تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة" (رواه أبو داود)

"يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا" (الترمذي: ٣٥٥٦؛ أبو داود، ١٤٨٨)

"من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة. الدعاء مفتاح الرحمة" (رواه الترمذي: ٣١٣٠)

الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض" (المستدرك على الصحيحين، ص ١٦٢ / ٦٩٨ / ١٨٥٥)

وبناء على هذا الحديث فإن في الدعاء مصلحة وفائدة للعبد المؤمن سواء استجبت دعوته أم لم



يقول النبي ﷺ:

"الدعاء هو العبادة" (الترمذي، ٣٣٧٢).

"الدعاء مخ العبادة" (الترمذي، ٣٣٧١).

"تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة"

(أبو داود).

"يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن

يردهما صفرًا" (الترمذي، ٣٥٥٦).

"من فتح له منكم باب الدعاء فتحت

له أبواب الرحمة، الدعاء مفتاح الرحمة"

(المستدرك على الصحيحين، ص ١٦٢ / ٦٩٨ / ١٨٥٥).



"أتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها،
وخالق الناس بخلق حسن" (الترمذي: البر، ٥٥/١٩٨٧)

إن المؤمن الحق يحب الله تعالى أكثر من نفسه، ويقدم طاعة ربه على أهوائه وشهوته. فيقابل النعم التي تُغدق عليه بالشكر، والبلاء الذي ينزل عليه بالصبر والحمد فلا يجزع لحكم الله أبداً، وهذا هو الشرط الأول للوصول إلى الاطمئنان القلبي والراحة النفسية.

ويشير النبي ﷺ إلى هذه الصفة في الإنسان المؤمن في الحديث الشريف:

"عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له؛ وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له" (مسلم: الزهد، ٦٤)

يبين لنا هذا الحديث بأنه على المؤمن أن يكون حريصاً في كل الأحوال التي يتعرض لها من خير أو شر على الاستفادة منها لتحقيق سعادته الأخروية. فعلى المرء مقابلة أخطاء الآخرين بالتسامح لوجه الله تعالى، فالله ﷻ يعفو ويغفر لعباده دائماً، وعلى المؤمن أن يعمل بإخلاص ليصل إلى حال يكون فيها جديراً بعفو الله ﷻ عنه.

يقول جعفر الصادق رحمه الله:

"لا يتم المعروف إلا بثلاثة: بتعجيله وتصغيره
وستره" (أبو نعيم: حلية الأولياء، ٣، ١٩٨)

فلا بد من الإسراع في القيام بأعمال الخير، لأن كثيراً من الموانع قد تطرأ عند التأخير والمماطلة في تنفيذ الأعمال المرضية لله ﷻ، فالشيطان والنفس يوسوسان للعبد دائماً ليتخلى عما فُكّر به وعزم عليه من أعمال الخير، وإن لم تُفلح الوسوسة بتخليه عن عمل الخير، فإنهما يسعيان لإفراغ هذا العمل من معناه وتجريده

تُسْتَجَب، ذلك أن بعض الدعاء يُستجاب في حياة المرء فيكون وسيلة لتحقيق مراده، وبعض الأدعية لا تُستجاب في الحياة الدنيا لحكمة لا يعلم بها إلا الله ﷻ. فيؤخر الله تعالى الاستجابة إلى يوم القيامة وتكون وسيلة لمكافأة العبد في الحياة الأخروية.

ويقول الله تعالى في الآيات الكريمة:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠)

وخلاصة القول أنه من واجب المؤمن إطاعة أوامر ربه ﷻ، وإحاطة نفسه بالدعاء تضرعاً إليه سبحانه

وتعالى، لا سيما في ساعات السحر التي هي أوقات استجابة الدعاء، فلا ينبغي حرمان نفسه من الدعاء والاستغفار والذكر لربه تعالى في هذه الأوقات المباركة.

يقول جعفر الصادق رحمه الله:

"إن خير العباد من يجتمع فيه خمس خصال: إذا أحسن استبشر، وإذا أساء استغفر، وإذا

أعطى شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا ظلم غفر" (ابن شمس

الخلافة: الآداب النافعة، ص ١٤)

فالمؤمن يتلذذ عند القيام بعمل الخير، مع إدراكه أن الأعمال الصالحة وسيلة للطمأنينة، وإذا ما زلت قدمه واقترب ذنباً فإنه يسارع إلى التوبة والاستغفار، فلا يعرف الإصرار على الخطأ والذنوب، وهو يعلم أن الإصرار على الذنب صفة من صفات الشيطان، فيتلافى خطأه شاعراً بالندامة في قلبه.

ويصف رسول الله ﷺ لنا طريق الرجوع والتوبة، وتلافي نتائج الذنب المُقْتَرَف:



من ثوابه، بإيجاد غايات نفسية وشخصية لدى القائم بعمل الخير من رياءٍ، وعجب، وكبر.

إن العدو الأكبر للأعمال الصالحة هو الغرور، والكبر، والمباهاة. فعلى المرء أن يحيط أعماله بالسرية والكتمان لكي يتعد عن هذه الخصال السيئة، وإن كانت طبيعة بعض أعمال الخير تقتضي ظهورها أمام الناس، فعلى المرء الإخلاص في عمله لله. ومما يحمي القلب من الغرور والعجب والكبر، استصغار ما قام به المرء من أعمال الخير في نظره مهما بلغت هذه الأعمال من الكثرة والأهمية، والإحساس بالتقصير الدائم في عمل الخير. وفي ذلك قال العارفون بالله تعالى: "انسَ شيئين:

(١) انسَ حسنات عمل الخير الذي أدبته، حتى لا يورثك عملك الغرور، والعجب، والكبر.

(٢) انسَ أعمال السوء التي تأتيك من الناس، حتى لا تورث قلبك بذور الحقد والضغينة".

وقالوا أيضاً: "لا تنسَ شيئين:

(١) لا تنسَ ذنوبك وتقصيرك، وانشغل بالتوبة والاستغفار حتى تمنع نفسك من التكبر والغرور.

(٢) ولا تنسَ إحسان الناس إليك،

لكي لا تقع في انعدام الوفاء ونكران الجميل".

وخلاصة الكلام أنه على العبد الإقبال بكل كيانه على الأعمال الصالحة لكي لا ييؤ بالخسران يوم القيامة، مع مراعاة الإخلاص لله في أعماله بحذر شديد. فإن من سوء تقدير المرء أن يملأ جعبته بالخير الكثير من جهة، ويفرغها من جهة أخرى لفقدانه الإخلاص، فيلقى الله تعالى يوم القيامة صِفَر اليدين دون أن يدرك السبب.

يقول جعفر الصادق رحمه الله:

تحقق الصداقة بخصائص تتصف بها، فإن رأيت إحدى هذه الخصال في أحد الناس، فاعلم بأنها علامة على الصحبة والصدق الحقيقي: أولى خصال الصداقة، المودة إليك خالية من العوض والغايات؛ "البعد عن المصالح الشخصية". ثانيها، حزن الصديق لحزنك ومصائبك وكأنها واقعة عليه، وفرحه لفرحك وسعادتك. ثالثها، لا تغيره الأموال والملك؛ "يبقى متواضعاً". رابعها، لا يحقد عليك ولا يحسدك بشيء. خامسها، إذا اجتمعت فيه هذه الخصال، فإنه لا يتخلى عنك ولا يتركك في الشدائد"

(الصفدي: الوافي بالوفيات، بيروت ١٤٢٠، ١، ١٠٠)

إن أكثر الناس في زماننا هم أصدقاء المنفعة والمصلحة، فينبغي ألا ينخدع الإنسان بالمظاهر الخارجية البراقة للأشخاص، والكلام الذي يجري على ألسنتهم بادعاءات الصحبة والصداقة، بل لا بد من اختبار لهؤلاء النماذج في الظروف الصعبة حيث تنكشف النوايا وتنجلي المواقف الصادقة.

ولا ينبغي الحكم على شخص ما دون الاطلاع على هويته الحقيقية، من خلال التعامل واختباره في ذلك.

وأهم ثروة يمتلكها الإنسان في هذه الحياة، هو صاحب صادق يحبه في الله، ويحثه على طاعته في ساعات الغفلة، ويفتديه في الشدائد، ويقدم له يد العون والمساعدة إرضاءً لله تعالى.

فالصديق الحقيقي يكون "حبيباً، لا حملاً" أي لا يكون حملاً ثقيلاً على صاحبه، وإنما عكس ذلك، يحرص على تخفيف حمله وهمومه.



يقول عمر رضي الله عنه:

"لا تنظروا إلى صلاة أحد

ولا إلى صيامه، ولكن انظروا

إلى: من إذا حدثَ صدق، وإذا أوثقن أدّى، وإذا أشفى ورع" (البيهقي: السنن

الكبرى، ٦، ٢٨٨؛ الشعب، ٤، ٢٣٠، ٣٢٦)

وذاث مرة سمع عمر رضي الله عنه رجلاً يثني على

رجل فقال: أسافرتَ معه؟ قال: لا، قال:

أخالطته في المباينة والمعاملة؟ قال: لا،

قال: فأنت جاره صباحه ومساءه؟ قال:

لا، فقال: والله الذي لا إله إلا هو لا

أراك تعرفه. (الغزالي: إحياء، بيروت

١٩٩٠، ٣، ١٦٠)



والصديق الحقيقي مثل النجمة في السماء التي تتلألأ مضيئة في ظلمات الليالي، فيبذل كل ما بوسعه لينير لصاحبه أيامه المظلمة، ويحزن لحزن صاحبه.

فلا ينبغي الوقوع في خطأ الحكم على الصداقة الحقيقية من خلال جلسات القهوة والشاي في أيام الرخاء والسعة، وإنما أصل الصداقة صداقة أيام الشدة والظروف الصعبة.

لقد أصبح إيجاد صديق حقيقي أمراً عسيراً في هذا الزمان، فعلى الإنسان المؤمن العمل على جعل نفسه صديقاً حقيقياً لغيره، وأن يكون نموذجاً حياً في سبيل إكثار هذا النوع من الصداقات.

يوضح جعفر الصادق رحمه الله تعالى حقيقة التعوذ الذي نتلفظ به قبل قراءة القرآن الكريم، إذ يقول:

"إن التعوذ الحقيقي عند قراءة القرآن الكريم هو حفظ اللسان عن الكذب، وتطهيره من الغيبة والافتراء". (البورصوي:

روح البيان، ١٠، ٥١٥، (النهل، ١٠٠))

إن المؤمن عندما يتوضأ فينظف فمه استعداداً لتلاوة القرآن الكريم وذكر الله تعالى، يحقق بذلك طهارة ظاهرية، لكن عليه أيضاً الحرص على الطهارة الباطنية من خلال الاستغفار والتوبة عن الطبائع السيئة من الكذب، والغيبة، والافتراء وغيرها، فيطهرها بدموعه وتضرعه إلى ربه ﷻ. لأن القرآن الكريم يُتلى بالأساس من القلب، وإن لم يُتَلَّ بقلب طاهر، فلا يمكن إدراك فيض معاني القرآن الكريم وروحانيته.

وفي تحذير السيدة عائشة ؓ عبرً عظيمة إذ تقول:

"يتوضأ أحدكم من الطعام الطيب ولا يتوضأ من الكلمة الخبيثة يقولها لأخيه" (ابن أبي شيبه: مصنف، ١، ١٢٥)

والحق أن القلب إذا ما فسد بالطباع السيئة، فلا يبقى معنى لنظافة الجسم وجمال المظهر الخارجي. وقد كانت هناك أبيات مكتوبة على باب أحد حمامات إسطنبول القديمة تعبر عن هذا المعنى خير تعبير:

إن لم تكن طينتك غير مطهرة
فلست أنت بجسمك خير أمة

والمقصود: إذا كنت ذا صفات سيئة، وإنساناً فاسداً، فلا تأمل خيراً من الحمام! وإذا كنت تريد نظافة تامة، فاغسل قلبك أولاً، ثم اغسل جسمك.

ذات يوم غسل إبراهيم بن الأدهم رحمه الله تعالى فم رجل سكران يدعى عياشاً، وقد كان يسيل لعابه فتفوح منه رائحة نتنة، فسأله أصحابه عن ذلك، فأجابهم:

- "لو أني تركت هذا اللسان والفم اللذين خُلِقَا لذكر الله تعالى على حالهما، لكان ذلك سوء أدب مني مع الله سبحانه وتعالى".

كان عياش سكراناً عندما نُظِفَ فمه، ولما أفاق من سكرته قيل له:

- "إن زاهد خرسان إبراهيم بن الأدهم قد نظف فمك".

في هذه اللحظات استفاق قلب عياش الذي كان محجوباً عن ذكر الله تعالى وقال:

- "إن كان الأمر كذلك، فهذا أنا تبتُّ إلى الله تعالى".

أدعو الله تعالى أن يوفقنا جميعاً إلى تطهير أنفسنا ظاهراً وباطناً، وأن نبلغ رضاه بعبوديتنا له في هذه الحياة الدنيا، ونلقاه بقلب سليم من الأحقاد والضغائن.

آمين!





الشكر:

ماذا، وكيف

لا نملك القدرة على عدّها وإحصائها هي من فضله وإحسانه، وهو الذي يرفع عنا البلايا ويزيل الشدائد، وهو الذي يستجيب دعاءنا ويفرّج همومنا ويخفّف مصائبنا، وهو الذي يرزقنا برزق غير منقطع، لذلك فإنه لا يمسك الرزق عن عباده إذا أذنبوا وعصوه. وهو السّتر الذي يخفي العيوب ويسترها، ولا يفشي المعاصي التي يرتكبها عباده، ولا يبينهم بين الناس لأن عفوه غير محدود. وهو الحليم الذي لا يستعجل بعقاب المذنبين، وهو الكريم الذي لا حدود لكرمه، إذ ينال من كرمه الأعداء والأحباب". (مكتوبات، ج ٣، مكتوب ١٧)

وأما أعظم نعمة بين كل النعم التي أكرمنا الله تعالى بها هي تشریفنا بالإسلام، وبنبوة سيدنا وحبيبنا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم. فلو أمعنا النظر والتفكر لوجدنا أن كافة النعم المادية صغيرة بجانب نعمة الإسلام.

إن أعظم نعم الله تعالى دعوتنا إلى الإسلام، وإرادته بأن نكون من أتباع سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، أي إرشادنا إلى سبيل الجنة التي هي دار السلام. فالصلاة والسلام على سيدنا ونبينا. وتغنّنا بالحياة الخالدة الأبدية، والنعم الدائمة غير المنقطعة رهناً باتباع هذه الدعوة، وبرضا الله سبحانه وتعالى عنا.



إننا نتقدم بالشكر حتى لمن يسدي إلينا في هذه الدنيا أدنى خدمة أو إحسان، ونعمل على إرضائه، وإظهار الامتنان له بشتى السبل، فذلك يعد أبسط شرط ليكون الشخص متحضراً وراقياً في تصرفه. إن كان الحال كذلك فكيف ينبغي أن نعبر عن شكرنا تجاه الخالق العظيم؟

لقد قدم لنا الإمام الرباني السرهندي في مكتباته كلاماً يستحق التوقف عنده والتأمل فيه، إذ يقول:

"ينبغي أن نعلم بأن الله سبحانه وتعالى قد وهبنا نعماً كثيرة لا انقطاع ولا حصر لها. فوجودنا في الأصل هبةٌ منه سبحانه وتعالى، واستمرار وجودنا أيضاً من إحسانه إلينا. ولا ريب أن قدرته عظيمة. وسائر صفات الكمال التي نتمتع بها مثل الحياة، والعلم، والسمع، وقدرة التحمل، والكلام إنما هي من الأمور التي تفضل بها علينا برحمته. فكل النعم التي بين أيدينا والتي

غير أن الناس اليوم، بل أكثر المسلمين، غافلون عن هذه النعم الجليلة، فكثير من الناس الجاهلين - كما أخبر بذلك القرآن الكريم - لا يتوانون عن ارتكاب الظلم، ويتجاهلون هذا الفضل والإحسان الواضح أكثر من وضوح الشمس، والأدهى والأمر من ذلك أنهم ينسبون هذه النعم إلى عباد ضعفاء مثلهم.

فلو أمعنا التفكير جيداً، نجد أن إكرام الله تعالى لعباده وإحسانه عليهم أسطع من أشعة الشمس، وأوضح من نور القمر. وأعمال المعروف والخير التي يقوم بها الآخرون تجاهنا تصدر عنهم أساساً بتمكين الله تعالى لهم. وطلبتنا لشيء من العباد يُعَدُّ مثل طلب الأمانة ممن أوثمن عليها، أو مثل التسول من المتسول. فهذه حقيقة واضحة يقرُّ بها كل شخص سواء كان عالماً أم جاهلاً، وسواء كان ذكياً أو غيباً.

فيرى الإمام الرباني السرهندي أن العقل السليم يُقرُّ بلا تردد وجوب تقديم الشكر والامتنان للمُنعم. وقد يكون هناك تقصير في صلتنا بالله تعالى، فالله تعالى يتصف بالكمال والتنزه عن النقص، أما نحن العباد فإننا مخلوقات عاجزة ناقصة. وهذا ما صار سبباً لجهلنا بكيفية تعظيم الله وتبجيله، إذ إن الإنسان في أحيان كثيرة يقوم بأعمال من أجل تعظيم الله تعالى، إلا أن هذه الأعمال قد تكون من الأشياء غير اللائقة بحق الله. وهنا يشير الإمام إلى ضرورة تعلم كيفية تعظيم الله تعالى من الله سبحانه وتعالى، إذ يقول:

"الحقيقة الوحيدة في هذا الخصوص هي أن تبجيل الله تعالى وأشكال العبادة هي من صلب شريعتنا. والذي جاءنا بتلك الشريعة هو النبي عليه الصلاة والسلام. فقد شرَّح لنا صاحب الشريعة سيدنا محمد الذي بلغنا ديننا أسس كافة العبادات والذكر والتعظيم

سواء التعظيم في القلب، أو الثناء باللسان؛ وسائر العبادات التي يتم أداؤها بأعضاء الجسم الأخرى في ديننا الحنيف، ووضَّح تفاصيلها".

فينبغي الالتزام في مجال العبادات بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لا سيما أولئك الذين يسلكون سبيل الروحانيات ويحاولون أن يكونوا متعبدين لربنا سبحانه وتعالى بما يليق به، وينبغي تجنب اختلاق أشكال جديدة للعبادات لا يُقرُّها الشرع. ولقد استخدم الإمام لبيان هذه الحال عبارة "العبادات القلبية"، لأن العبادات التي يهتم بها المتصوفون أكثر هي العبادات القلبية مثل كثرة التفكير والذكر. إلا أن الأمر ذاته لا يختلف سواء فيما يتعلق بالعبادات الظاهرة الجسمية، أو بالنسبة لتلك الباطنة القلبية، فدلينا ومرشدنا الوحيد في كل ذلك هو الشريعة المحمدية السمحة.

إن سائر عبارات الشكر وأشكالها سواء تلك المتعلقة بالقلب أو الجسم، وسواء المتعلقة بالاعتقاد أو العمل مقيدة ومحددة بالأحكام والقواعد الدينية. وليس من المقبول القيام بأي عبادة غير تلك التي نصَّ عليها الشرع، إذ إن مثل هذه العبادات تولد نتائج عكسية، فالأمر الذي يقوم به العبد في هذا المجال ويعتبره خيراً يُعَدُّ في الحقيقة السوء عينه. إن شكر الله تعالى عقلاً واجب على كل عبد، غير أنه لا يمكن أداء الشكر لله تعالى بعيداً عما بيَّنه الشرع.

فنفهم من كل ذلك أن أشكال الشكر وصوره التي يروَّج لها بعض الجماعات الصوفية اليوم والتي لا تتفق مع الشرع غير مقبولة على الإطلاق. حتى إن الشيخ بهاء الدين نقشبند قد استبدلَ الذكر الخفي بالذكر الجهرى لكي لا يترك مجالاً للجدال والنقاش.

التوبة

الأستاذ: لقمان حلوجي

يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَن يَكْفِرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ
يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ
لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم: ٨)

وبلَّغنا رسوله الكريم ﷺ فقال:

"وَاللَّهِ إِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ
سَبْعِينَ مَرَّةً".

صدق رسول الله ﷺ في ما قال أو كما قال.

والحق أن أتباع الأديان السابقة وخاصة الرهبان والراهبات النصارى قد تخلوا عن السبيل اليسير والسهل الذي وضعه الله تعالى لهم ومالوا إلى السبل الشاقة، ولهذا فقد ذمَّ الله عز وجل عملهم هذا في القرآن الكريم بقوله:

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ٢٧)

فلا بد من الحذر من الطرق المختلفة التي يتم وضعها باسم التصوف. إذ إن الهدف الحقيقي للتصوف هو التركيز على المشاعر القلبية في الفرائض التي أمرنا بها ربنا عز وجل وإيصالها إلى الكمال، وليس إيجاد أنواع جديدة من العبادات.

فالأعمال التي أولاهها المتصوفة أهمية مثل الذكر، والتأمل، والتفكير، هي للمساهمة في أداء الفرائض بصدق وإخلاص. ويحذر الإمام المخدوعين في هذه المسألة أو الذين التبس عليهم الأمر، والمنشغلين بالنوافل دون أداء الفرائض، فيقول:

"ليت ثواب النوافل يبلغ نقطة أمام بحر ثواب الفرائض. فمن إحدى حيل الشيطان ومكائده حجب الإنسان عن الفرائض وحثه على العبادات النافلة".

نسأل الله أن يثبتنا في سبيل الشريعة الإسلامية، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل. آمين!.

لقد خلق الله ﷻ بني آدم على فطرة طاهرة سليمة لا تشوبها شائبة، إذ يقول في كتابه العزيز عن علو منزلة بني آدم، وفصله على بقية الخلق:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠)

ويقول في سورة التين:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤)

غير أننا مع كل أسف نخفق كثيراً في المحافظة على هذه الفطرة السليمة والنقية التي خلقنا مولانا عليها، بتأثير الوسط الاجتماعي الذي نحيا فيه تارة، أو بضعفنا أمام رغبات أنفسنا وشهواتها تارة أخرى؛ فتقسو قلوبنا التي وضعها الله في أجسامنا التي أحسن الله خلقها ونفخ فيها من روحه. يقول الله تعالى:

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: ١٤)

وقد قال النبي ﷺ في شرح هذه الآية الكريمة:

"إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُو قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ" (الترمذي، التفسير، ٨٣ / ٣٣٣٤)

إن الران الذي ورد في الآية الكريمة التي قرأتها على مسامعكم إنما هو الصدأ الذي يصيب القلب. إذ يشبه المولى ﷻ قلب الإنسان المذنّب والعاصي بالحديد من حيث القسوة والصلابة، وهذا القلب يقسو بالمعاصي فيبدأ تراكم الصدأ عليه كما يتراكم على الحديد تماماً.

إن القلب الذي يقسو ويصيبه الصدأ ثم يُخْتَم عليه بالغفلة، لا ينفعه تحذير ولا نصح ولا إرشاد. وقد وردت هذه الحقيقة بصورة جلية في القرآن الكريم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ٦-٧)

إن قلوب المنكرين التي خُتِمَت بالغشاوة لآزدرائها الآيات والأحكام الإلهية والغلو بمخالفتها، تشدّد قساوة مع مرور الزمن وتراكم المعاصي، حتى تُحَرِّم تماماً من ذكر الله ﷻ، ومحبتة أكثر من أي شيء سواه، والخوف والخشية منه وحده. مع أن الله جعل لقلب الإنسان ميزة مهمة، وهي قدرته على الميل إلى ذكر الله تعالى، وقد أخبرنا الحق ﷻ عن هذه الميزة، إذ قال:

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٢٣)

لقد بدأنا حديثنا بالقلب، لأن لبّ التوبة الندم، وإن الموضع الذي يكون فيه الندم إنما هو القلب.

والتوبة في الاصطلاح الشرعي: ترك المعاصي والذنوب والأعمال السيئة، والندم على فعلها، والعزم على عدم الرجوع إليها مرة أخرى. وإن كانت المعاصي من نوع ظلم العباد والاعتداء على حقوقهم، فتكون التوبة - إضافة إلى ما ذكرنا - بأداء حقوق العباد، أو بطلب العفو والمسامحة من صاحب الحق.

ودعونا هنا نقف على الماهية الحقيقية للتوبة:

ينبغي أن تكون توبة الإنسان عن الذنوب وعزمه على عدم الرجوع إليها ابتغاءً لمرضاة الله ﷻ حتى يُعَدَّ تائباً عند الله تعالى. وعلى ذلك فلا يُعَدُّ عمله توبةً إن

يصور الله تعالى

في سورة البقرة القسوة التي

تتصف بها هذه القلوب العاصية،

فيقول:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

كان لأهداف ومقاصد أخرى. ونضرب لكم أمثلة على ذلك لمزيد من الإيضاح: فشارب الخمر الذي يقلع عن الشرب للحفاظ على أمواله أو على صحته، وخوفاً من التحذيرات الطبية لا يُعد تائباً، وكذلك الذي يترك الأعمال الرذيلة للحفاظ على سمعته بين الناس. إن الكفارة التي يُكفّر بها المسلم عن غفلته عن الله تعالى، أو الوقوع في معصيته لغلبة النفس وأهوائها عليه، هي الإسراع في الأوبة إلى خالقه من جديد مع الندم الشديد، لأن التوبة إلى الله بعد اقتراف الذنب وقبل أن يترك أثراً أو

بقعة سوداء على القلب، يُعدُّ كفارة ومُطهرة لذلك الذنب أو المعصية. وفي ذلك يقول الله ﷻ في محكم بيانه:

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: ٣٦). قد يقول قائل: ما الذي ينبغي لنا القيام به إن ارتكبنا معصية، أو كيف نتصرف؟ فلنستمع إلى أبي بكر رضي الله عنه ونأخذ الجواب منه، يقول أبو بكر رضي الله عنه: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

«مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ، ثُمَّ يُصَلِّي، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ»،

ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

(آل عمران: ١٣٥. أبو داود، التور، ٢٦ / ١٥٢١؛ الترمذي، الصلاة،

(٤٠٦ / ١٨١)

فيتين لنا من خلال ما تقدم أهمية وصايا نبينا وأُسُوتنا عليه الصلاة والسلام في موضوع التوبة من الذنوب والاستغفار.

والنبي ﷺ يبين لنا بمثل هذه الأحاديث الشريفة أهمية التوبة والاستغفار في إعمار القلوب.

وينبغي للإنسان المستغفر عندما يتضرع إلى الله تعالى ويسأله المغفرة بلسانه أن يتعد قدر استطاعته عن الذنوب والمعاصي بقلبه وجسمه، وأن لا يصر على ارتكاب المعاصي إن زلت قدمه مرة؛ أي عليه أن يسارع إلى تركها، لأن هذا ما تقتضيه العبودية الحققة والصادقة لله تعالى. فالله تبارك وتعالى يقول في الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ

تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ

عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ (التحریم: ٨)

فلنعلم قيمة إيماننا وعظمة الإله

الذي نعبد. إننا عبادُ الله الذي إذا

ارتكبنا الذنوب وعصيناه، ثم تُبنا

إليه، وجدناه عفواً غفوراً محبباً لنا،

فهو القائل:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ

الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢)

فيشني بذلك على المؤمنين

الذين يولون أهمية للطهارة المادية

والمعنوية. ولكن؛ هل ربنا سبحانه وتعالى يحب

التواين فحسب؟ لا، إنه ﷻ يحبهم ويفرح فرحاً

عظيماً بتوبتهم. ويصف لنا النبي ﷺ هذه الفرحة، إذ

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ

يقول:

"لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ

أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ

وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيَسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً،

فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ آيَسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ

66

يقول رسول الله ﷺ:

"إِنَّهُ لَيُعَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ

فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ". (مسلم: الذكر، ٤٢)

ولكن علينا ألا نفهم بأن غفلة رسول الله

ﷺ وحجب قلبه عن ذكر الله كغفلتنا

نحن، وإنما حجب قلبه يتناسب مع

موقعه ومنزلته السامية التي يتمتع بها

عند الله ﷻ. فالنبي ﷺ له رابطة قلبية قوية

مع الله تعالى لا تكاد تتناقص، وهو ﷺ

يشير بقوله هذا إلى تعرض هذه الرابطة

للضعف نسبياً لواجبات مهمة النبوة

المكلف بها، وانشغاله بالأمور الدنيوية

الضرورية مثل الطعام، والشراب،

والنوم، والعلاقات مع أزواجه.

99

كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرْحِ: (اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ)، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرْحِ" (البخاري، الدعوات، ٤؛ مسلم، التوبة، ٢٧٤٧)

إن التوبة تكون إما من الكفر أو الذنب. وتوبة التائب من الكفر مقبولة بلا شك، وأما توبة التائب عن الذنب فإن كانت صادقة خالصة فهي مقبولة أيضاً. والقبول هنا يعني التخلص من آثار الذنب الذي اقترفه التائب، وإذا لم يعد إلى ذلك الذنب مرة أخرى فإنه يكون كما لو أنه لم يقترفه أبداً. ولا يُعد ارتكاب المعصية شرطاً ضرورياً للجوء الإنسان إلى التوبة والاستغفار، إذ من الواجب على كل من يريد التوجه إلى الله تعالى بالعبادة، سواء بالدعاء أو بغيره أن يبدأ بالتوبة والاستغفار، ليتطهر من الأدران المعنوية، لأن دعاء المتطهرين أسرع

قبولاً من غيرهم. لكن هل نحن صادقون في توبتنا أم لا؟ وكيف نعرف ذلك؟

إذا ما وقفنا مع أنفسنا وقفة محاسبة على الذنوب والمعاصي التي نقترفها، وعلى الأخلاق السيئة التي نسير عليها، ثم عقدنا العزم على ترك كل معصية وخلق سيء من تلك المعاصي

والأخلاق تدريجياً، والتوبة عنها، فلنعلم بأننا أصبحنا على الطريق الصحيح. وإذا حاولنا بعد ذلك التخلص بالأخلاق الحسنة والقيام بالأعمال الصالحة بدل تلك السيئات التي كنا نقترفها، فلنعلم بأننا نمضي قدماً في ذلك الطريق الصحيح.

فمثلاً إذا كنا من المبْتَلِينَ بالكبر، فينبغي الانصراف عنه والتحلي بالتواضع، وإذا كنا من الحاسدين والحاقدين على إخواننا فينبغي أن نغير نظرتنا تجاه إخواننا المؤمنين ونراهم أفضل منا، وأن ننشغل بعيوبنا ونواقصنا وأخطائنا بدلاً من الانشغال بمتابعة عيوبهم.

وينبغي أن نضع نصب أعيننا بأن المؤمن مرآة المؤمن، فإذا ما نظر بعين السوء فإنه يرى السيئات، وإذا ما نظر بعين حسنة فإنه يرى الحسنات. وينبغي أيضاً أن نشغل أنفسنا وأفكارنا بالجوانب الحسنة والإيجابية التي نراها في إخواننا في الدين.

وإذا بدأنا بترك الأخلاق الذميمة الأخرى والاستعاضة عنها بالأخلاق الحميدة فهذا يعني بأن توبتنا توبة نصوح، وأنها بدأت تؤتي أُكْلَهَا.

يورد مولانا جلال الدين الرومي رحمه الله تعالى تشبيهاً جميلاً وبليغاً عن التوبة الحقيقية في سبيل التخلص من الأمراض القلبية وقبول الدعاء، إذ يقول: "ادعُ وتب بقلب ملتهب بنار الندامة، وبعين مبتلة بالدموع! فالزهو لا تفتح إلا في الأماكن المشمسة والرطبة!".



لقد بدأت التوبة الأولى في حياة البشر مع الخطأ الأول الذي اقترفه أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام، وقد تابا إلى الله تعالى بتضرعهما إليه، حينما قال:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣).

وقد أصبح هذا الدعاء الذي فيه التذلل إلى الله تعالى مثلاً تقتدي به كل الأجيال بعدهما إلى قيام الساعة.

أيها الإخوة الكرام! يطيب لي أن أنهي مقالتي هذه بشارة جميلة وعظيمة من نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم:

فعن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ:

"التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ" (ابن ماجه، الزهد، ٤٢٥٠)

أهمية دراسة التاريخ

الأستاذ: محسن اليوسف

إن التاريخ هو ذاكرة البشرية، وسجل أحداثها وديوان عبرها والشاهد العدل لها أو عليها، فالتاريخ يوسع آفاقنا ويطلعنا على أحوال الأمم وتاريخ الرجال وتقلبات الأيام منهم. ففي التاريخ نرى كيف تعمل سنن الله تعالى في المجتمعات بلا محاباة، كيف ترقى الأمم وتهبط، وكيف تقوم الدول وكيف تسقط؟ وكيف تنتصر الدعوات وكيف تهزم؟ وكيف تحيا الحضارات وكيف تموت؟ وكيف ينجح القادة وكيف يفشلون؟ وكيف تنام الشعوب وكيف تصحو؟ يقول الله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦)

ففي التاريخ نلاحظ ونشاهد أصدق شهادة على ما يدعو إليه الدين من قيم ومفاهيم فنرى فيه عاقبة الإيثار والتقوى ونهاية الكفر والفجور، وجزاء الشاكرين لنعمة الله وعقوبة الكافرين بها، وكيف يجني من يغرس الخير ويحصد من يزرع الشوك، ومن هنا نلاحظ أن القرآن الكريم فيه من قصص السابقين وتواريخ الغابرين لما في ذلك من عبر بليغة وعظات حية، يقول الله تعالى:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٦-٣٧)

وكثيرا ما يعقب القرآن على نهاية الأمم تعقيبات تبرز ما وراءها من دروس وعبر مثل قوله تعالى بعد قصة ثمود: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (النمل: ٥٢)



وقوله بعد قصة سبأ:

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا
الْكَفُورَ﴾ (سبأ: ١٧)

فمن هنا بإمكانك أن تستدل وتستشهد للمعاني والقيم التي تدعو إليها بأحداث التاريخ ومواقف الأبطال وغير الأبطال فهذا يساعد على تثبيتها في العقول والقلوب فإن الكلمات قد تنسى ولكن الوقائع قلما تنسى. كما و أن دراسة التاريخ مهمة لأنها كثيرا ما تساعدنا على فهم الواقع الماثل ولاسيما إذا تماثلت الظروف وتشابهت الدوافع وهذا ما جعل العرب قديما يقولون ما أشبه الليلة بالبارحة، وجعل الغربيون يقولون التاريخ يعيد نفسه بل نجد أن القرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى حين أشار إلى وحدة التصرفات أو تشابه الأقوال عند تشابه البواعث وذلك في مثل قوله عن المشركين وطلبهم آليات الكونية من رسول الله كقولهم:

﴿...لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: ١١٨)

وقال الله تعالى:

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ. أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الذاريات: ٥٢-٥٣)

وأكثر من ذلك أن بعض القضايا الحاضرة لها جذورها التاريخية البعيدة الاغوار فمن لم يعرف أغوار ماضيها لم يدرك أسرار حاضرها فالصدام بين الإسلام والمسيحية في هذا العصر لا يعرف حق المعرفة ما لم يعرف صراع الحروب الصليبية وما دفع إليها من بواعث وما صاحبها من دمار وما خلفته من آثار وأسفرت عنه من نتائج بل لا يعرف إلا من بداية الصراع منذ موقعة اليرموك وفتوح الشام ومصر

وإفريقيا في عهد الراشدين، بل من معركة مؤتة وغزوة تبوك في عهد النبي محمد ﷺ.

وما يقال عن الصراع بين المسيحية والإسلام يقال أيضا وينطبق على الصراع بين الإسلام واليهودية والصراع العربي الإسرائيلي اليوم لا يمكن أن يفهم بالشكل الصحيح إلا بسياحة وجولات تاريخية منذ غزوة بني قينقاع والنضير وقريظة وفتح خيبر التي أنهت الوجود اليهودي في الجزيرة العربية .

للقصص التاريخية فوائد جمة من أهمها

١- تثبيت قلوب المؤمنين، قال تعالى:

{وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبِّئُ بِهِ
فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ
لِلْمُؤْمِنِينَ} (هود: ١٢٠)

قال الجنيد رحمه الله: -الحكايات جند من جند
الله عز وجل يقوي بها إيمان المريدين- .

٢- أنها سبيل إلى معرفة سير أهل الصلاح
والاقتداء بهم، قال الله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ
هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَفْتَدِهِ..} (الأنعام: ٩٠)

قال أبو حنيفة: -الحكايات عن العلماء ومحاسنهم
أحب إلي من كثير من الفقه لأنها آداب القوم- .

٣- أنها سبيل إلى أخذ العبر والدروس من
السابقين قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ
عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ...} (يوسف: ١١)

٤- معرفة السنن الكونية من سنن التمكين
والنصر ونهاية الظالم ونصر المؤمنين الصادقين
ولو بعد حين، كما قال الله تعالى: {أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ
مَنْ أُولَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ} (القم: ٤٣)





الخبير الاستراتيجي في المعارك حباب بن المنذر الأنصاري



الأستاذ: مصطفى أريش

ولما أخبره النبي ﷺ بأن المسألة لا علاقة لها بالوحي، وجد الحباب ﷺ الفرصة المناسبة للتعبير عن رأيه وفكره حول المسألة بكل راحة قلب.

فاقترح أن يتمركز الجيش عند أقرب بئر ماء للعدو، وأن يتم ردم الآبار الأخرى لكي يمنع العدو من الشرب منها فيتعرضوا للعطش والإنهاك.

وقد عُرف الحباب بن المنذر ﷺ في هذا الشأن بـ "ذو الرأي". حيث أقرت جميع الآراء والاقتراحات التي قدمها. وعلى ذلك فقد سمي هذا الصحابي بين الصحابة بصاحب الرأي لأن كل الآراء والاقتراحات التي قدمها كانت صائبة. وقد بين الحباب ﷺ رأيه واقتراحه في هذا الموضوع بشكل واضح وفق ما يلي:

"يا رسول الله إن هذا المكان الذي أنت به ليس بمنزل، انطلق بنا إلى أدنى ماء إلى القوم فإني عالم بها وبقلبها، بها قلب قد عرفت عذوبة مائه لا ينزح، ثم نبني عليه حوضاً فنشرب ونقاتل ونعور ما سواه من القلب."

الحباب بن المنذر الأنصاري ﷺ هو صحابي جليل قام بمهمة الاستشارة والخبرة الاستراتيجية في معارك رسول الله ﷺ!

وهو الذي أبدى رأيه بكل إقدام وجرأة خلال معركة بدر، وخير في مسألة تموضع جيش المسلمين في ساحة المعركة، وتحديد مكان معسكر المسلمين، ولقي رأيه القبول!

وهو البطل الذي عُرف بين الصحابة باسم "ذو الرأي" بسبب آرائه الثاقبة والصائبة!

ينتسب الحباب بن المنذر الأنصاري ﷺ إلى قبيلة بني سلمة الخزرجية. ولذلك فإنه يُذكر أيضاً بلقب السلمي. وهو من كتاب الوحي، وخال الصحابي المنذر بن عمرو الساعدي ﷺ.

كان عمره ﷺ لما شارك في معركة بدر وقام بمهمة حمل راية الخزرجيين فيها، في الثلاثة والثلاثين من عمره. ورأى أن موقع جيش المسلمين في ساحة معركة بدر غير مناسب، وقد سأل النبي ﷺ عما إذا كان اختيار مكان معسكر المسلمين بناءً على أمر إلهي، أم هو الرأي.

فأعجب النبي ﷺ الرأي والاقتراح الذي قدمه الحباب بن المنذر ﷺ. فأمر المسلمين بالتحرك ونزلوا في أقرب نقطة من العدو. فأقاموا حوضاً على عين الماء الذي تمركزوا قربها، وملئوها بالماء. ووضعوا فيها بعض الأواني من أجل شرب الماء بها.

ونجد للصحابي حباب بن المنذر ﷺ أيضاً اقتراحات مشابهة لما ذكرناه والتي أقرت جميعها من قبل النبي ﷺ، وذلك في غزوات كثيرة، مثل؛ غزوة خيبر، وغزوة بني النضير، وغزوة بني قريظة، وغزوة الطائف.

ففي غزوة بني النضير وبني قريظة تبني النبي ﷺ اقتراحه بالتمركز في المكان المتوسط بين هاتين القبيلتين اليهوديتين مما أدى إلى قطع التواصل بينهم. ثم تبين بأن هذا الرأي هو الذي أوصى به جبريل ﷺ.

لم يكن الحباب بن المنذر ﷺ يتوقف عند حد تقديم المشورات والآراء، والاقتراحات فقط، وإنما كان يظهر البطولات في ساحات القتال. فهو أحد الأبطال الذين لازموا النبي ﷺ والتفوا حوله في غزوة أحد عندما اشتد القتال وحمي وطيس المعركة، وضاعت الأحوال بالمسلمين، وكان ممن لم يتوقفوا للحظة عن الضرب بالسيف والرمي بالسهم دفاعاً وذوداً عن سيد الخلق عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم.

وهو واحد من البواسل الذين كلفهم شمس العالمين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يوم أحد بالتحري عن تحركات العدو، وجمع المعلومات حول عددهم وعتادهم، وتحضيراتهم. يعدد الواقدي في كتابه المغازي أسماء الأبطال الشجعان الذين جعلوا من أجسادهم درعاً صلباً كالجبل حول رسول الله ﷺ في غزوة أحد العصبية، فيقول:

من المهاجرين: سيدنا أبو بكر، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص. وطلحة، والزبير، وأبو عبيدة رضي الله عنهم أجمعين.

ومن الأنصار: أبو دجانة، والحباب بن المنذر، وعاصم بن ثابت، وحارث بن الصمة، وسهل بن حنيف، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير رضي الله عنهم أجمعين.

لم يكن الحباب بن المنذر ﷺ يخفي الفكرة التي يرى فيها صواباً. إذ كان يعبر عن رأيه دون تردد أو وجل، ويقدم اقتراحه. وقد كرر هذا النوع من التصرفات في مرات عديدة وفي كل مرة يقابل رأيه واقتراحه بالإقرار وحسن القبول، وينال الإعجاب. وفي غزوة خيبر أقدم على التصرف ذاته. إذ رأى بأن الموقع

كان

الذي نزل فيه الجنود المسلمون غير ملائم للمعركة. فسارع على الفور إلى مراجعة رسول الله ﷺ وأطلعه على رأيه. واقتراح التمركز في المنزل بعيد عن مرمى سهام العدو إذا لم يكن هناك وحي بشأن تموضع جيش المسلمين. وقد بين رأيه، وقدم اقتراحه كما يأتي:

"يا رسول الله! إن هذا المنزل قريب من حصن النطاة. يا رسول الله إن أهل النطاة لي بهم معرفة، ليس قوم أبعد مدى سهم منهم ولا أعدل رمية منهم، وهم مرتفعون علينا، وهو أسرع لانحطاط نبلهم، ونبلنا لا تصل إليهم، وهم يدرون أحوالنا ونحن لا ندري أحوالهم، ولا نأمن من بياتهم يدخلون في حمرة النخل. أي النخل المجتمع بعضه على بعض، ولو أمرت بمكان خال عن هذه المفاسد نتخذه معسكراً، تحول يا رسول الله! أو نجعل هذه الحجارة والصخور السوداء بيننا فلا تصل إلينا بناهم!"

وما أدرك النبي عليه الصلاة والسلام أن يهود خيبر
قد تجهزوا للقتال، جهز المجاهدين من أصحابه ليلاً
لقتال اليهود الذين تجمعوا في حصن النطاة.
وقد بشرهم بالنصر والغنائم الكثيرة إن هم تحلوا
في المعركة بالشباب والصبر. ثم أخذ يشحذ همهم على
القتال.

لقد عمل الحباب بن المنذر رضي الله عنه كخير استراتيجي،
وتوفي في عهد خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
عام ٦٤١ م.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل لنا نصيباً من
آراء وأفكار ذلك البطل المغوار، وأن يشملنا جميعاً
بشفاعته. آمين.

فقال الرسول عليه الصلاة والسلام:

"أشرت بالرأي إذا أمسينا إن شاء الله تحولنا".

ودعا رسول الله عليه الصلاة والسلام محمد بن
مسلمة رضي الله عنه فقال له:

- انظر لنا منزلاً بعيداً عن مفاسد اليهود
ومخاطرهم!

فطاف محمد بن مسلمة رضي الله عنه في الأنحاء، وبعد أن
وصل إلى الرجيع عاد إلى النبي عليه الصلاة والسلام
ليلاً، وقال:

- يا رسول الله! وجدت لك منزلاً!

فسر رسول الله ﷺ وقال:

- على بركة الله وتحول لما أمسى، وأمر الناس
بالتحول".



أمل أو كيار

فلي صاحب في غاية الوفاء
ولسوف أناجيه في كل صلاة
أنا في رحلة وصلت إلى نهايات طرقها
في فضاءات حيث البقاء
لقد قضيت على المخاوف يا صاحبي
وبإمكاني كتابة الشعر
وبإمكاني الإحساس بشوقك في قلبي
فسينول الأمطار الأخيرة جرفت فناء قلبي
الحمد والشكر أي مطمئن هادئ البال
الحمد والشكر لك يا ربي



الحمد لله أنني مطمئن

سينول الأمطار الأخيرة اجتاحت وجرفت
فناء قلبي

فجمعت أوراق ريجانتي اليابسة
سقيت قليلاً بنفسجاتي الأفريقية
فأنا مطمئن وهادئ البال بقدر صمت
واخضرار زهوري

وأستطيع أن أدعو بأدعية صامئة خضراء
ولو أن الطقس ليس ربيعياً ولا صيفياً
والبرد سوف يسود في الأجواء
وسوف يحل الشتاء، وتعصف الرياح الشمالية
القاسية

وتهطل الثلوج... إلا أنني لن أشعر بالبرد أبداً

ماذا يقول التصوف لنا وللناس

في هذا العصر؟

البروفسور د. مصطفى كارا

٥. امتنع عن الثروة والشهرة والشهوة. فالمال والمُلْك والمنصب والمقام أمورٌ تُضعِفنا وتُضِنِّنا، وتُبعِدنا عن اللب وتُبقِّنا في القشور. والمادية والرأسمالية والعلمانية ثلاثة أصنام تقيم حياتنا ولا تقعدها، فعبادة المادة والمال والدنيا تعصف بنا من كل جانب وتجعلنا في الهامش.

٦. اهتم بالروح لا الشكل، فالأساس سيرتنا لا صورتنا. عليك بلباس التقوى.

٧. لا تنسَ أنَّ تجليات رحمة الله وغضبه متداخلة، فثمة شوكة بين الأزهار، وزهرة بين الأشواك.

٨. احرص على أن يكون المدح والذم عندك سيَّان. عليك أن تتأثر بدمِّ أصحابك بمقدار ما تتأثر بمدحهم. لا تجعل جُلَّ همِّك الشناء، بل كن مُتَقَبِّلاً للنقد. فكِّر بأخطائك إذا مدحوك.

٩. اقرأ كتاب الكون، وكن دائماً مع الطبيعة والتراب. وانظر إلى حيث تسير وإلى أين المصير. إننا نلد في هذه البيوت الإسمتية ونموت فيها، فإلى أين؟ مَنْ كان قريباً من الطبيعة كان قريباً من الله ﷻ.

١٠. ابحث عن البعد الثالث، اجلس واترك العجلة والقلق. كن هادئاً، ركِّز في الحاضر وعش اللحظة، تُفتَح لك آفاق جديدة.

١١. اسجد واقترب. وهذا هو لب الأمر كله، اعتصم بذلك الحبل، وإلا، فلا معنى لدخولك في التصوف والطريقة. فدخول الطريقة في التصوف كدخولك الإسلام بعد الشهادة، إنما هو الخطوة الأولى.

إن الطرق التي تُوصِل الإنسان إلى مرضاة ربِّه سبحانه وتعالى كثيرة، والتصوف إحدى هذه الطرق، وقد جرَّبه المسلمون على مدى قرون طويلة، فتاريخه يمتد إلى نحو ١٥٠٠ سنة. ومن غير المعقول ألا نستفيد من هذه التجربة الطويلة ونستعملها في العلاج من أمراضنا المعنوية.

وثمة أحد عشر أمراً يتعلَّمه الدراويش في التكيَّات الصوفية ولا بد من تعليمها للإنسان المعاصر، وهذه الأمور هي:

١. جدِّ لنفسك مُعلِّماً، أو - إن شئت - عارفاً، أو مرشداً صالحاً يرشدك إلى الطريق المستقيم، وخُذْ من تجربته. ذلك أنك لن تجد بطلاً في أي ميدان إلا وراءه مُدَرِّب، فإن قلت: بل أجد، أجبتك: الاستثناء لا يبطل القاعدة.

٢. أدبْ نفسك وروحك بسلوك طريق طويل بالمجاهدات؛ عليك بقلّة الطعام، وقلّة المنام، وقلّة الكلام. فذلك هو الجهاد الأكبر: أي مجاهدة النفس. جاهد تلك الصفات التي تُقسِي القلب من كبرٍ وحقد ورياء وأنانية.

٣. أدِّ أعمالاً عظيمة ولكن لا تعرِّض نفسك. عِشْ خفياً، واحرصْ على ألا يعرفك إلا "هو".

٤. لا تذكر محاسنك، ولا تُشهر نفسك، وتخلَّص من نواقصك. إياك أن يكون همُّك أن يعلم الناس محاسنك وفضائلك.

مقام الإحسان

جمال نار

ولكي نفهم الإحسان بشكل أفضل وأوضح دعونا نفكر كالاتي: عندما نتواجد في مجالس آبائنا، أو مشايخنا، أو معلمينا فإننا ننتبه إلى قيامنا، وقعودنا، وكلامنا بعناية فائقة، ونتجنب الإتيان بالحركات الطبيعية التي نفعلها بين أصدقائنا ورفاقنا، أليس كذلك؟ فمثلاً إذا ما ارتكب أحدا خطأ ما في نهوضه، أو جلوسه فإنه ينظر يميناً وشمالاً، ولا نرغب بطبيعة الحال أن يكون أحد قد رآنا على تلك الحالة. وحتى ولو كان الذي رآنا ممن ليس له شأن كبير في المجتمع فإننا نترقب انصرافه من المجلس، وذلك لأنه يرانا ونراه، وهذا الأمر يسبب إحراجاً لنا..

فما بال الأمر عندما يكون في حضرة الله تعالى ويراه؟ عندها يكون الاحترام، والتبجيل، والانتباه مختلفاً جداً، فلا يكون مثل الأب والشيخ، والمعلم، ولا غيرهم. إذاً فلنفرض أن أحداً قام إلى أداء العبادة وهو يرى ربنا سبحانه وتعالى، ففي هذه الحالة فإنه سوف يحرص من

إنكم تتذكرون الحديث الرائع الذي ذكرناه، والذي وردت فيه عبارات تعرّف الإحسان، حيث يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام:

"...الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك..." (البخاري، ٥٠؛ مسلم ٩)

إذاً فهذا هو أجمل تعريف للإحسان. ولذلك فإن المغامرة التي يخوضها الإنسان على وجه الأرض من وجهة النظر الإسلامية ما هي في الأساس إلا "رحلة من الإيمان إلى الإحسان".

والإحسان أعلى مراتب الدين وأعظمها. وأهله هم المستكملون لها السابقون للخيرات، المقربون في علو الدرجات.

وإذا كان الإسلام هو الأركان الظاهرة عند التفصيل واقتترانه بالإيمان. والإيمان إذ ذاك هو الأركان الباطنة، فإن الإحسان هو تحسين الظاهر والباطن. وأما عند الإطلاق فإنه يشمل الدين كله.

أجل إظهار الخضوع والخشوع بكل ما أوتي من إمكانية وقوة، وضبط نفسه عن الالتفات والشروء، وإتمام عبادته على أتم وجه، سوف يحرص على عدم تفويت أي شيء من شأنه مطابقة حالته الداخلية مع حالته الخارجية. ومن هنا يقول رسول الله ﷺ: "... أن تعبد الله كأنك تراه..." أي اجعل كل عبادتك مثل العادة التي تؤديها في حضرة الله وأنت تراه.

إلا أن إتمامه لعبادته بتلك الطريقة وهو يرى الله تعالى لم يكن إلا لعلمه برؤية الله تعالى له. ولهذا السبب فإن العبد لم يكن يجسر على إظهار التقصير في تلك الحالة. في حين أن

المعنى ذاته موجود في حالة عدم رؤيته لله تعالى أيضاً، فإن كان الأمر كذلك أفلا ينبغي العمل أو التصرف وفقاً لتلك الحالة؟ فحتى إن كنت لا تراه فبكل تأكيد إنه يراك. فلم لا نبدي إذاً ذات الخشوع، والطمأنينة، والوقار، وحضور القلب؟ فهل تلاحظون الغفلة؟

والحاصل فإن المقصود من الكلام هو التشجيع على التزام الإخلاص والصدق في العبادات، وضرورة

دوام مراقبة العبد لربه ﷻ بما يحقق أداء العبادة على أتم وجه، وذلك من خشوع وطمأنينة، وحضور قلب. وفي الواقع يرى أهل الحقيقة بأنه يندب للمرء مجالسة وملازمة الصالحين، وذلك لكي تمنعه هذه الحالة التي تدفعه إلى الحياء منهم والتزام جانب الوقار والهدوء في حضورهم، تمنعه من الوقوع في أي هفوة أو خطأ. فإذا كانت هذه حال الملازم للصالحين، فكيف تكون حال الذي يعلم بأنه يقف أمام الله تعالى المطلع على سره وعقله، والمشاهد لكل أفعاله!

إن حديث الإحسان يشتمل على مقام المراقبة والمشاهدة معاً. وإن جملة: "فإن لم تكن تراه فإنه يراك" تعتبر انتقلاً من مقام المشاهدة إلى مقام المراقبة. ويقول العلماء أن هناك ثلاث مقامات في العبادات:

المقام الأول: مقام الإيفاء بالعبادة بصورة تسقط التكليف، وذلك من خلال مراعاة أركانها وشروطها.

المقام الثاني: وهو بلوغ مرتبة المراقبة أي العلم واليقين باطلاع الحق سبحانه على ظاهر العبد وباطنه، بالإضافة إلى تحقيق الشروط والأركان.

المقام الثالث: وهو مقام المشاهدة أي تعبد الإنسان لربه وكأنه يراه، بالإضافة إلى تحقيق الشروط والأركان التي سبق وأن أشرنا إليها. وهذا المقام هو مقام سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

فهذه المقامات الثلاثة هي الإحسان، وأما الذي يُعد شرطاً من أجل صحة العبادات فهو المقام الأول للإحسان. وأما المقامان الآخران فهما من صفات الخواص.

قال القاضي عياض أيضاً:

"وهذا الحديث قد اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه".

أجل؛ إن هذا الحديث (حديث الإحسان) الذي يحتوي على علوم العقائد، والكلام، والفقه، والحقوق، والأخلاق، والتصوف حديث في غاية العظمة والروعة.

يدل الإحسان على النبل
والعرفان بالجميل، والإحترام
للمنعم والقيام بالواجب، والإحسان
ينبئ عن الصفاء والوفاء والسخاء،
فبالإحسان تكسب النفوس ويشترى
الحب، ويُخطب الودّ ويُهيمن على القلوب،
وتستعبد الأفتدة. وقد دعا الله تعالى عبده إلى
الإحسان لأنه قد أحسن إليه، قال تعالى
﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا
تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ
كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾
[القصص: ٧٧]

الأمر يا طعروف في القرآن الكريم

الأستاذ: سامي منصور

قال الله عز وجل:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)

الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى هي وظيفة الرسل
عليهم السلام، فالله سبحانه وتعالى ما أرسل
الرسول إلا ليدعوا أقوامهم إلى توحيد الله تعالى
وإقامة شرعه، وكان آخرهم وخاتمهم وأفضلهم
محمد عليه الصلاة والسلام، وقد أمره الله
سبحانه وتعالى أن يظهر هذا للناس ويبين
لهم منهاجه الذي يسير عليه ويتوجب على
المتبعين له أن يسيروا عليه، فقال سبحانه
وتعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى
بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨)

فسبيل الرسول عليه الصلاة والسلام وطريقه
ومنهاجه هي التي أمر بالإخبار بها، وهي الدعوة إلى

جزء من جنة الفردوس

الله سبحانه وتعالى على بصيرة، وهي العلم النافع الذي ينير طريق سالكه ولا يكون ذلك إلا بالعلم الشرعي المبني على الأدلة الشرعية والعقلية والحسية ودليل الفطرة أيضاً.

تغيير المنكر في القرآن أتى بالشكل التالي:

اولاً: قوله تعالى: .

﴿لَا تَكْلَفُ إِلَّا نَفْسَكَ...﴾ (النساء: ٨٤)

وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ١٠٥)

مما يدل صراحة أنه علينا تغيير المنكر في أنفسنا قبل أن ننظر إلى عورات غيرنا علينا أن نستتر عوراتنا فالمرء يبدأ بنفسه دون غيره إلا بالوسائل الشرعية التالية:

- حينما يكون الأمر مع الأهل فيجب أمرهم مع الصبر الطويل عليهم حيث قال تعالى

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ...﴾ (طه: ١٣٢)

وأما مع الأقارب فيكون الأمر بالإنذار فقط وهو أخف وطأة من الأمر

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤)

وأما مع سائر الناس فليس لنا الحق إلا بالدعوة بالتي هي أحسن

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥)

فالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى إذاً تكون بالحكمة وتكون بالموعظة الحسنة وتكون بالجدال بالتي هي أحسن.

يقول ابن القيم -رحمه الله-:

«ذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو:

- فإنه إما أن يكون طالباً للحق محباً له، مؤثراً له على غيره إذا عرفه فهذا يدعى بالحكمة. ولا يحتاج إلى موعظة وجدال.
- وإما أن يكون مشتغلاً بضد الحق، لكن لو عرفه أثره واتبعه. فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب.
- وإما أن يكون معانداً معارضاً، فهذا يجادل بالتي هي أحسن. فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجدال إن أمكن»

بل وأكثر من ذلك حيث علينا أن نكون فعلاً كما قال الله تعالى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)

حيث أنه يجب أن نحسن إلى من يسيء إلينا، يقول الله تعالى:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤)

وقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٢)

فهذا نكون نحن القدوة الحسنة لغيرنا ونغيره بتصرفاتنا الحضارية لا بأيدينا وأكفنا فنحن دعاة دين وسماحة لا دعاة تخويف.

نسأل الله التوفيق والسداد للجميع.

الطير

في

ثقافة التصوف



البروفسور د. نجدت طوئسن

الطائر من القفص وحصوله على حريته، ويطلقون على هذه الحرية تسمية "ليلة الزفاف" لأن الروح سوف تلقى راحة أكبر مع محبوبها الحقيقي بعد نيلها حريتها. ومن ناحية أخرى يوجد لدى الصوفيين مفهوم يُسمى "الموت قبل الموت". وهذا الموت يتمثل بقتل الخصال أو الأخلاق السيئة والخيثة للنفس مثل الحسد، والكبر، والرياء، وحب الدنيا. فأرواح الأشخاص الذين يفلحون في الوصول إلى هذه التنقية الأخلاقية تتغلب على أنفسهم، وتحقق حريتها وهي ما تزال في الدنيا. ويبين مولانا جلال الدين الرومي هذا الأمر في كتابه (المثنوي) من خلال "حكاية البغاء والتاجر" التي يقول فيها:

كان من عادة أحد التجار عندما يريد الخروج في تجارته إلى الهند أن يسأل أهل بيته عما يرغبون من هدايا يجلبها لهم لدى عودته من سفره، فيطلب منه أفراد أسرته ما يريدونه منه. وذات مرة سأل أفراد الأسرة جميعاً، حتى وصل إلى بغاء له في البيت، ولما سألته عن الهدية التي يرغب بها، قال

ورد في إحدى الآيات القرآنية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى أمر سيدنا إبراهيم عليه السلام بأخذ أربعة من الطير وذبحها، ثم خلط أشلائها ببعضها، ووضع كل جزء منها على رأس جبل من الجبال، ثم بعد ذلك دعوة تلك الطيور إليه. ولما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام ما أمر به عادت الحياة إلى الطيور من جديد بإذن الله تعالى وجاءت إلى إبراهيم. وورد في آيات أخرى أن سيدنا سليمان عليه السلام كان يعلم لغة الطير لا سيما طائر الهدهد الذي يرد حواراه وحديثه معه في هذه الآيات. وللطير مكانة مهمة أيضاً في ثقافة التصوف، حيث يلجأ الصوفيون أحياناً إلى الأمثال والحكايات المتعلقة بالطيور في سبيل شرح المسائل الصوفية والأخلاق بلغة مبسطة وسهلة.

إن الصوفيين الذين يصوّرون حياة الأرواح- المخلوقة قبل الأجساد- داخل البدن في الدنيا لمدة محدودة وتعرضها للمنعصات والشدائد الدنيوية كالطائر الحبيس في قفص البدن، ويشبّهون الموت- أي التحاق الروح بموطنها الأصلي- بتخلص

البيغاء: "لدي الكثير من الأقارب البيغاوات في الهند، فاحمل مني إليهم السلام، وقل لهم: هل من اللائق بكم أن تطيروا بحرية بينما أنا مسجون هنا في القفص، هل هذا الأمر يليق بالصدقة؟" فذهب التاجر إلى الهند، وبينما كان في أحد الأيام منشغلاً بأمور تجارته إذ رأى بعضاً من طيور البيغاء فوق أغصان شجرة قريبة منه. فنقل إليهم سلام البيغاء الذي في بيته وأخبرهم بقوله. وما إن سمعت هذه الطيور الكلام حتى بدأ أحدهم بالارتجاف، ووقع على الأرض ميتاً. فحزن التاجر كثيراً على حال هذا الطائر المسكين. ولما عاد إلى بلاده أخذ بتوزيع الهدايا على أهل بيته، وبينما هو كذلك ناداه البيغاء قائلاً: "وأين هدية هذا العبد الفقير؟ هيا أخبرني عما رأيته وقتله". فأخذ التاجر يقص عليه الأحداث التي جرت معه ببالغ الحزن والأسى. ولما سمع البيغاء الذي في القفص كلامه ارتجف، وسقط ميتاً، فزاد الأمر من حزن التاجر. عجز التاجر عن فهم ما يحدث، فأخرج البيغاء من القفص ووضع جانبا. إلا أن البيغاء خفق بجناحيه فجأة، وطار وحط فوق غصن شجرة قريبة. أصيب التاجر بالذهول، وبينما كان ينظر إليه بدهشة وحيرة كبيرة، أخذ البيغاء يقول:

"لقد أرسل إليّ ذاك الطائر الذي في الهند نصيحة بفعله. أراد القول: دعك من الكلام، ومن التلذذ، فصوتك الجميل قد ساقك إلى القفص. وإن سبب ادعائه الموت هو من أجل النجاة، إذ قال: أيها البيغاء الأسير الذي تعزف الألحان وتُطرب الإنسان متّ مثلي، وتخلص من أسرك. ففعلت مثله وتخلصت من الأسر".

ثم بعد ذلك قدّم البيغاء عدة نصائح أخرى أعجبت التاجر كثيراً، إذ قال: "أستودعك الله أيها السيد، فأنا قد تخلصت من الأسر، وأنا الآن أعود

إلى موطني، وإلى مكاني الأصلي الذي قدمت منه. وإذا فعلت مثلي فإنك ستنجو أيضاً، وتحصل على حريتك". فقال التاجر بدوره للبيغاء: "هيا اذهب بأمان الله، لقد أرشدتني الآن إلى طريق جديد". فأخذ التاجر يقول لنفسه: "لقد كان ذلك نصيحة قيمة لي، فلأسلكُ طريق بيغائي، فهذا الطريق هو طريق نوراني يقود الإنسان إلى الحقيقة".

يرى أهل التصوف بأن الاخلاق السيئة وحب الدنيا يشبه الأصفاد التي تقيد يدي الإنسان وقدميه. يقول مولانا جلال الدين الرومي في هذه المسألة: "يا بني، حطّم قيدك، وكن حراً! فإلى متى ستكون أسير الفضة والذهب؟". فالإنسان مثل الطائر الذي غاصت رجلاه في القطران ويعجز عن الطيران مهما خفق بجناحيه لتجمد القطران على رجله، فالإنسان كذلك سيبقى في حالة أسر طالما أنه لم يفلح في تخليص قلبه من القيود الدنيوية. ولا بد من تسخين القطران وإذابته مرة أخرى لكي يُفَلَّت الطائر رجله من القطران المتجمد ويستطيع الطيران من جديد. وليس من شيء بإمكانه تسخين ذاك القطران وإذابته مجدداً سوى "محبة الله تعالى".

وقد كان هذا الأمر الفكرة الرئيسية لكتاب (رسالة الطير) الذي كتبه ابن سينا ووضع فيه قصة رمزية عن الطيور، وللكتب الأخرى المشابهة التي ألفت فيما بعد حول هذه المسألة.

ويورد فريد الدين عطار (توفي ٦١٨هـ/ ١٢٢١م) في كتابه (منطق الطير) الذي جعل موضوعه كلام الطيور ومغامراتها، قصصاً رمزية حول بداية تعليم التصوف، ومراتبه، ونهايته. وقد ذُكر في الكتاب أن الطيور اجتمعت ذات يوم، فحصل الاضطراب والفوضى لعدم وجود رئيس لها. ذلك أن كل واحد منها رأى نفسه أحق بالرياسة وأهلاً لها. وفي هذه الأثناء جاء

طائر الهدهد وأخبر الطيور بأن هناك سلطاناً للطيور اسمه سيمورغ. فانطلقت الطيور جميعاً لرؤية سلطان الطيور، ولكن الطريق كان شاقاً، فأرادت بعضها التراجع عن سفرها. وكان أولها الببغاء الذي كان يعيش داخل القصور وفي بيئة محاطة بكل أسباب الراحة والرفاهية، فاعتذر من أصحابه واستأذن منهم بالرجوع. وجاء بعده طائر الطاووس المتفاخر بجمال ريشه، وتلاه في التراجع البلب العاشق للورود والأزهار... بينما كان الهدهد يقدم النصائح للبقية من خلال سرد القصص والأمثال، ويشجعهم على متابعة الرحلة إلى السلطان.

إن هذه النصائح موجهة بالأساس إلى الناس الذين يعيشون في أجواء من الراحة والرفاهية، والذين يتجنبون الصعاب والمشاق ويهربون منها، والذين يولون الأهمية للجمال الخارجي، والمبتلون بمحبة الدنيا والمحرومون من محبة الله تعالى.

وبعد هذه النصائح والتوجيهات أرادت الطيور أن يقودها الهدهد لكي تتابع الرحلة، لكن الهدهد رفض طلبهم، ولما وقعت القرعة التي أجروها بينهم عليه قبل الهدهد وصار قائدهم (المرشد أو الشيخ). فبينَ لهم الهدهد أوصاف وديان الطلب، والعشق، والمعرفة، والاستغناء، والتوحيد، والحيرة، والفقر والفناء.

ولكن عندما كانوا يعبرون من الوديان الخطرة، كانت بعض الطيور تموت أو تضيع. وفي نهاية المطاف بقي ثلاثون طيراً، فوصلوا إلى وادي البقاء، وأرادوا الدخول إلى قصر السلطان. ولكن الحارس رفض إدخالهم إلى القصر، فأصيب الطيور الثلاثون باليأس والإحباط في بادئ الأمر، فقدم لهم الهدهد الدعم المعنوي والروحي. وتوجهوا إلى بستان الوصال، وأخذت كل وردة في البستان

كالمرأة تريحهم أنفسهم، أي تظهر وتعكس ثلاثين طيراً. فأدركوا حينها بأن سيمورغ السلطان قد تجلّى فيهم، فكلمة سيمورغ باللغة الفارسية تعني "ثلاثون طير". ويقال له العنقاء أيضاً. إن الوديان السبعة التي اجتازتها الطيور في هذه الرحلة، أي وادي الطلب، والعشق، والمعرفة، والاستغناء، والتوحيد، والحيرة، والفقر والفناء، هي المراتب السبعة التي يجب على الدرويش اجتيازها في طريق التعليم والتربية الروحية.

وقد كتبَ درويش شمس الدين الديوان الشعري (ده مورغ) الذي يعني (عشرة طيور) باللغة التركية متأثراً بكتاب فريد الدين عطار (منطق الطير)، وقَدَّمه للسلطان العثماني ياوز سليم. ولكن الطيور هنا عشرة وليست ثلاثون، وهذه الطيور ترمز لعشر شخصيات إنسانية مختلفة؛ فالبوم رمز للصوفي، والغراب رمز للشاعر، والببغاء رمز للعالم، والنسر رمز للفيلسوف، والبلبل رمز للنبي، والهدهد رمز لأرباب الحكمة، والسنونو رمز للمنجم، والطاووس رمز للتاجر، والحجل رمز للفلاح العاشق، والقلق رمز للمتمسك بدينه. فيقوم كل طائر متكلم من هذه الطيور العشرة أولاً بتقديم نفسه، ثم يشير إلى الأخطاء التي وقع فيها الطائر الذي تكلم قبله، ويطرح نصائحه، ويعمل على إظهار الطريق الذي يراه صائباً وصحيحاً.

ويربط مولانا جلال الدين الرومي صياح طائر القمري: "كو، كو" بعبارة تعني باللغة الفارسية: أين، أين؟ وعندما يسمع الأصوات التي يخرجها القلق بمنقاره: "لق، لق" فإنه يتذكر معناه باللغة العربية "لك، لك"، ويقول: من أين سيأتي البلب ليشم رائحة الورود؟ وطائر القمري سوف يبحث عن حبيبه وهو يقول: "أين، أين؟" وطائر القلق سوف يحرك منقاريه وهو يقول من صميم قلبه:

"لَكَ، لَكَ". فماذا يعني "لَكَ"؟ إنه يقول: يا إلهي! الملك لك، والمال وكل شيء لك.

وقد كتب الشاعر سنان أُمي شعراً ذكر فيه كلمة اللقلق قاصداً بها المرشد أو الشيخ، يقول في مطلع قصيدته:

جمع اللقلق الطين من أجل بناء بيته
وفيه حوض حَمَّام نحتته من اليقطين.

ينظر الناس إلى الجانب الظاهري لطائر اللقلق المتمثل بأكله، وشربه، وهم يرون فقط ذلك الجانب، ولكن لطائر اللقلق أيضاً سفرات ورحلات طويلة مجهولة متمثلة بقدمها ورحيلها في فصلي الربيع والخريف.

والأولياء والمرشدون الحقيقيون مثل اللقالق أيضاً، ذلك أن لهم رحلات وسفرات خفية غير مرئية. فاللقلق جمع الطين من أجل بناء عشه، أي إن المرشد الكامل يعيد البناء من جديد، أي إنه يجمع حوله الناس المخلوقين من التراب والماء من أجل تربيتهم وتعليمهم، وبناء أناس كاملين. وينشغل بإفراغ العفونة من داخل اليقطين، أي الأخلاق السيئة والخبيثة من داخل الأشخاص الذين لم يتلقوا التعليم والتربية الروحية، فهذا هو وظيفته. ويتابع في الأبيات التالية التعبير عن أصناف البشر من خلال الترميز إليهم بالطيور الأخرى، فيدل على الغافلين من مرتزقة العلم والمعرفة بكلمة "الصقر"، ويرمز بكلمة "العقّوق" إلى المتملقين الذين يمدحون أولئك، ويرمز بكلمة "الغراب" إلى اللصوص والزهاد والعباد المزيّفين. ويسرد عمر فؤاد كاستامونولو الذي يُعد أحد مشايخ الطريقة الخلوتية في منظومته الشعرية "البلبلية" المكتوبة باللغة التركية، شكوى مليئة بمختلف الأكاذيب والافتراءات المقدمة بحق البلبل إلى سيدنا سليمان عليه السلام من الغراب، والعقّوق،

وغيرهما من الطيور التي انزعجت من عشق البلبل للورود، وشعرت بالغيرة والحسد من صوته الجميل. فاستدعي البلبل إلى محكمة سليمان عليه السلام، فقال النسر الذي يدير المحاكمة بأنه لأول مرة يرى مثل هذه الدعوى، لذلك لا يستطيع البت بها، ولا يقدر على هذه الدعوى سوى اليوم. فجاء اليوم الذي كان منشغلاً بذكر الله في خرابته، واستمع إلى ادعاء المشتكين، وأقوال الأطراف، حكم لصالح البلبل معللاً حكمه بأن أهل الظاهر والحساد لا يقدرّون على فهم أحوال أهل العشق. فدعا البلبل لسيدنا سليمان عليه السلام وشكره، ثم توجه إلى الورود.

وصفوة الكلام أن الصوفيون اتجهوا إلى بيان الأخلاق الصوفية، ومسائل العشق الإلهي، والفكري الصوفي من خلال استعمال الرموز، وسرد الحكايات والقصص، فاستخدموا الطيور أبطالاً لهذه الحكايات لتحقيق هذه الغاية. واستطاع الصوفيون الذين استعملوا في حكاياتهم أنواعاً مختلفة للطيور من أجل التعبير عن الشخصيات الإنسانية المختلفة، أن يضمّنوا بهذا الأسلوب فهماً أفضل لموضوعاتهم، وفي الوقت نفسه جاؤوا بالكثير من الأعمال الأدبية في هذا الميدان.



ليس كل من أعطى النقود ولي!



نسليهان ترك

بالتقلب والصراخ قائلاً: لا يهمني! لا يهمني! أنا أيضاً أريد صفارة.

ويمكن أن نجد طفلاً قد انزوى جانباً وهو يبكي بصمت وحزن وغيرة من رفاقه لعدم حصوله على صفارة خاصة به.

وقد نجد من بين هؤلاء طفلاً يطرح تساؤلاً مثل: "جحا رجل طيب وشهم، يا ترى لم لم يجلب لي صفارة؟" فيحاول أن يفهم الأمر وهو يتناوله من منطلق حسن الظن.

وقد نجد طفلاً أدرك سريعاً الخطأ الذي ارتكبه، وأصبح يفكر بطريقة أو خطة يحل بها المشكلة التي صادفته نتيجة ذلك الخطأ؛ كل هذه الاحتمالات ممكنة.

فالله تعالى قد يجعل درهم أحدهم بألف درهم، وقد يجعل ألف درهم أحدهم هباءً منثوراً. فالنقود

بينما كان جُحاً متجهاً إلى السوق في أحد الأيام، التفت حوله أولاد الحي وأخذوا يعرضون عليه طلباتهم وتوصياتهم، وصار كل واحد منهم يقول:

- اجلب لي صفارة! اجلب لي صفارة!

فمدّ واحد فقط من بين أولئك الأولاد يده إلى جيبه، وأخرج نقوداً وأعطاهما لجحا. فمضى جحا في طريقه إلى السوق. ولما عاد إلى الحي في المساء، ذهب إلى صاحب النقود وأعطاه الصفارة التي اشتراها له من السوق. فأخذ الأولاد الآخرون يسألونه وقد تحطمت أحلامهم:

أين صفارتي؟ أين صفارتي؟

فأجابهم جحا بكلام صار مثلاً مشهوراً:

"من يدفع النقود ينفخ في الصفارة".

في هذه الحال قد نجد طفلاً يرتمي على الأرض كمن لم يكتفِ بالاستياء من جحا، ومن رفاقه. ويبدأ

والصفارة كلاهما من أدوات امتحان تتغير نتيجته حسب النية، والإخلاص، والشعور. وما دام الأمر كذلك، فينبغي القول:

"إنك تبكي أيها الإنسان وتعصي لنعمة لم تأتِكَ لأنك لم تفكر بدفع ثمنها في وقتها. وتنتظر الأخذ من أحدهم دائماً! لمن تعطي، وماذا تعطي؟ إنك قد اعتدت على الأخذ فقط حتى إن من يراك يظن بأن في جيبك عقرباً. ما أكثر الذين أكلت من خبزهم، وجلست على موائدهم قائلاً: "جزاك الله خيراً".

ولما جاء وقت دفع الثمن، تجاهلت الأمر لسبب ما. فبادر أنت أيضاً، وأعط ولو قليلاً، يحزيك الله خيراً أيضاً. هل ستفني أنت وأموالك إن أعطيت؟! ماذا سيحدث لو أنك زدت العمل قليلاً ليزداد الخير، هل في ذلك جرم أو إثم؟ اعلم أنك لا تُعمّر دنياك، ولا آخرتك بهذا البخل، وهذا العمل الذي أنت عليه!

إنك تحزن كثيراً لأنهم لم يشتروا لك صفارة. هل فكرت بينما أنت مُصرٌّ على قول: "أريد الصفارة" كم شخصاً رأيت من الذين صاروا أغنياء وأصحاب ثروة كبيرة ولم ينساقوا للسُّكر، ليبقوا متمسكين بحدود الله ورسوله ومستمرين بالحياة؟

كم رأيت من أغنياء يتعاملون مع الثروة وفق أصولها، ولا يتنازلون لتحقيق مزيد من الكسب ولو عن مقدار ذرة من تلك الأصول؟ هل تظن بأن عدد مثل هؤلاء الأبطال على وجه الأرض قد تجاوز عدد أصابع اليد؟

وإضافة إلى ذلك كله، لأي منكم سوف يعطي جحاً؟ إنكم كثيرون، فلستم لا واحد، ولا خمسة! وهل تعلم كم يساوي مجموع ثمن تلك الصفارات التي تريدونها؟ أجل، إن جحاً رجل طيب إلا أنه لا يطبع النقود. إنهم يظنون بأنه بالغ الغنى لأنه كريم

وسخي جداً، إلا أنه في كثير من الأحيان يقتطع من قوت يومه ويوزّعه على الناس من حوله. وهذا أمر جيد ومحمود، ويسمونه "الإيثار". ولكن، ماذا سيسمون ما تفعله أنت؟

ولحسن الحظ أنك لست من أصحاب الحُكم المسبق، وتحاول أن تفهم أصل الأمر. إذا فاسمع جيداً: إن في الأمر شيئاً غريباً: فأنت تريد الجنة، وفي الوقت نفسه تنتظر الخير دائماً من جحاً. لا يستطيع أحد شراء نهر وقصر لأحد. فإذا كنت تتمتع بقليل من العقل والإيمان، فاستنفر كل قواك وطاقتك لتؤمن لنفسك ثمن مكانك وملكك الذي في الجنة.

انتج، وقم بالبيع والشراء، وزن، وقس... واقتد قليلاً بأهل الصُفة واعتبر بهم، وأخرج من الحجر ماءً. لا تعود لسانك على قول: "لا".

وتذكر قول رسول الله عليه الصلاة والسلام:

"لا تُوعي فيوعي الله عليك" (البخاري: الزكاة، ٢١)

أي لا تدخر المال وتمسك عن الإنفاق. كن غنياً، ولكن لا تكن صفارة للشيطان. فإن قلت ماذا يعني، أقول لك: إذا بدأت بالتنازل عن مبادئك، أو قضيتك، أو قيمك، فإن الله سبحانه وتعالى يمنع عونه عنك. وعندما يمنع الله سبحانه وتعالى عنك عونه، فإنك تبقى وحيداً منعزلاً. وعندما تبدأ بالانعزال عن الله سبحانه وتعالى، فإنك تعانق الدنيا. وبعدها تنظر فإذا بتلك الصفارة البريئة قد صارت صفارة الشيطان. وتنتظر فإذا بالصفارة التي كانت من قبل تُخرج براءة الطفولة صوتاً عذباً وذاً معنى، قد تحولت فجأة إلى نذير شر وشؤم.

أعمل عقلك وقلبك جيداً. لا تشكو وتندمر قائلاً: "لا أحد يساعدي ويساندي". وإنما اسأل نفسك: "ماذا أفعل من أجل مساعدة نفسي والآخرين؟" وإذا

رَأَيْتَ النِّعْمَةَ نَقُوداً فَحَسِبْ، فَإِنَّكَ سَوْفَ تَنْسَى الْعَطَايَا
وَالْتَبَرَعَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَقُومَ بِهَا بِقَلْبِكَ، وَلِسَانِكَ،
وَصَوْتِكَ. فَوَزَّعَ مِمَّا يُعْطَى لَكَ، وَلَا تَنْظُنْ أَبَداً أَنَّ النِّعْمَةَ
هِيَ فَقَطْ تِلْكَ الْوَرَقَةُ الْمَلُوثَةُ! فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ شَيْئاً آخَرَ قَدَرَا
بِقَدْرِ النِّقُودِ، لَمَا تَنَاوَلَهُ أَحَدٌ بِيَدِهِ. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

انظر، فبعض الرجال عندما يُطْلَبُ منهم النقود
يرتعدون وكأنهم أصيبوا برعشة حمى. وبعض الناس
يعيشون حال الفقر والعدم على الرغم من تراكم الثروة
بين أيديهم وذلك بسبب الحرص والطمع الشديد الذي
يُعانون منه، حتى إنهم يقولون: "خذ رוחي، ولا تأخذ
نقودي". فهذه الأشكال من الناس هم العاجزون
عن إعطاء الصدقة بالرغم من الثروة والإمكانات
التي يمتلكونها. وهؤلاء هم المسرفون إذا ما صرفوا
على أنفسهم، والمقترون والبخلاء إذا ما تعلق الأمر
بالصرف والعطاء في سبيل الله تعالى.

قم بوضع مشاريع ومخططات، ولا تقم بكل عمل
فقط من أجل كسب المال. ولا تعمل مع أي شخص
كان بدعوى أن لديه أموالاً. فلنكن لديك مبادئ. إذا
أعطاك أحد شيئاً، فانظر هل يعطيك من أجل الخير،
أم من أجل الشر؟ وهل يعينك لوجه الله، أم بدافع
الطمع؟ انتبه إلى هذا. لا تنفر ممن يذكرك ويعظك لوجه
الله، فتفسد وتهلك نفسك. اجعل كل المشاريع التي
تقوم بها والأشياء التي ستكسبها في خدمة الله تعالى.
فإذا فعلت ذلك فسوف تنعم بالبركة، وإن لم تفعل ذلك
فإنك ستعتاد على الذنوب والشكوى والتذمر.

ينبغي الإقرار بالحقائق: فلا طعام دون جهد،
ولا رغيف بلا ثمن. وهذه أيضاً حقيقة وهي أن الله
تعالى قد منح لكل عبد من عباده واحدة أو أكثر من
المهارات. ومن إحدى الأمور الأخرى التي ينبغي
الإقرار والتسليم بها هو أن كل عبد مسؤول عما في يده،
فليس كل أحد قادر على إعداد الولاة.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"اليد العليا خير من اليد السفلى. واليد العليا
المنفقة، والسفلى السائلة" (مسلم: الزكاة، ٩٤)

وينبغي ألا يكون الإنسان ممن يؤمنون قوتهم
بواسطة غيرهم، وإنما ينبغي أن يكون المرء من
المنتجين الذين بلغوا مرتبة الكرماء والأسchiاء
القادرين على تأمين ما يكفيهم، وما يقدموه لغيرهم.
وفي الحقيقة لا أعرف ما هو لزوم الكثير لمن لا
يستطيع الإعطاء من القليل؟

كلا، ليس كل شيء من أجل المال. كلا، ليس كل
شيء يكون بالمال. لربما يستطيع كل من يدفع المال
الحصول على الصفارة ولكن ليس بإمكان كل من
حصل على الصفارة عزفها بشكل جميل. إن العزف
بأصوله بحاجة إلى رجل متمتع بالإيمان، وخاضع
للتربية والتعليم، وذو نفس قوي وطويل وأذن
سامعة، وذو مروءة وعزيمة. فهذا النظام الذي يحتاج
كل عنصر فيه إلى الآخر من أهم الحقائق في الدنيا.

لا ينتهي الأمر عند هذا الحد. فإذا وضع المرء
نصب عينه القيام بالأعمال التي لا ترضي الله تعالى في
سبيل كسب المال، فسيعاني من مشكلة في إيمانه. يقول
بعضهم: "وماذا نفعل، لقد وقعنا في ضائقة". ولكن ألا
يوجب الامتحان الالتزام بالاستقامة في حال الضيق؟
أليس الفوز بالآخرة يكون بالصبر من أجل الله تعالى
حتى في أوقات الشدة والضيق؟ وهل الطريق الذي
تقودك فيه الأموال بدلاً من الله يُعد طريقاً سليماً؟

فينبغي على جحا عدم جلب الصفارة لكل من
أعطاه المال، وكذلك ما ينبغي لكل من استجلب
صفارة أن يعزفه!

اللهم ارزقنا القوة المادية والمعنوية والقدرة على
شكرها وقبولها لنستعملها في سبيل رضاك. وأحسن
إلينا من لدنك، وأغننا عن سؤال الناس. آمين!